صدّام حسين

من الزنزانة الأمريكية:

هذا ما حَدث!

- كيف احتُلّت بغداد؟
- ما هي قصّة الأسر؟
- أسرار العراق وأكاذيب الأمريكيّين
- لماذا تأخّر إصدار الحكم بالإعدام؟

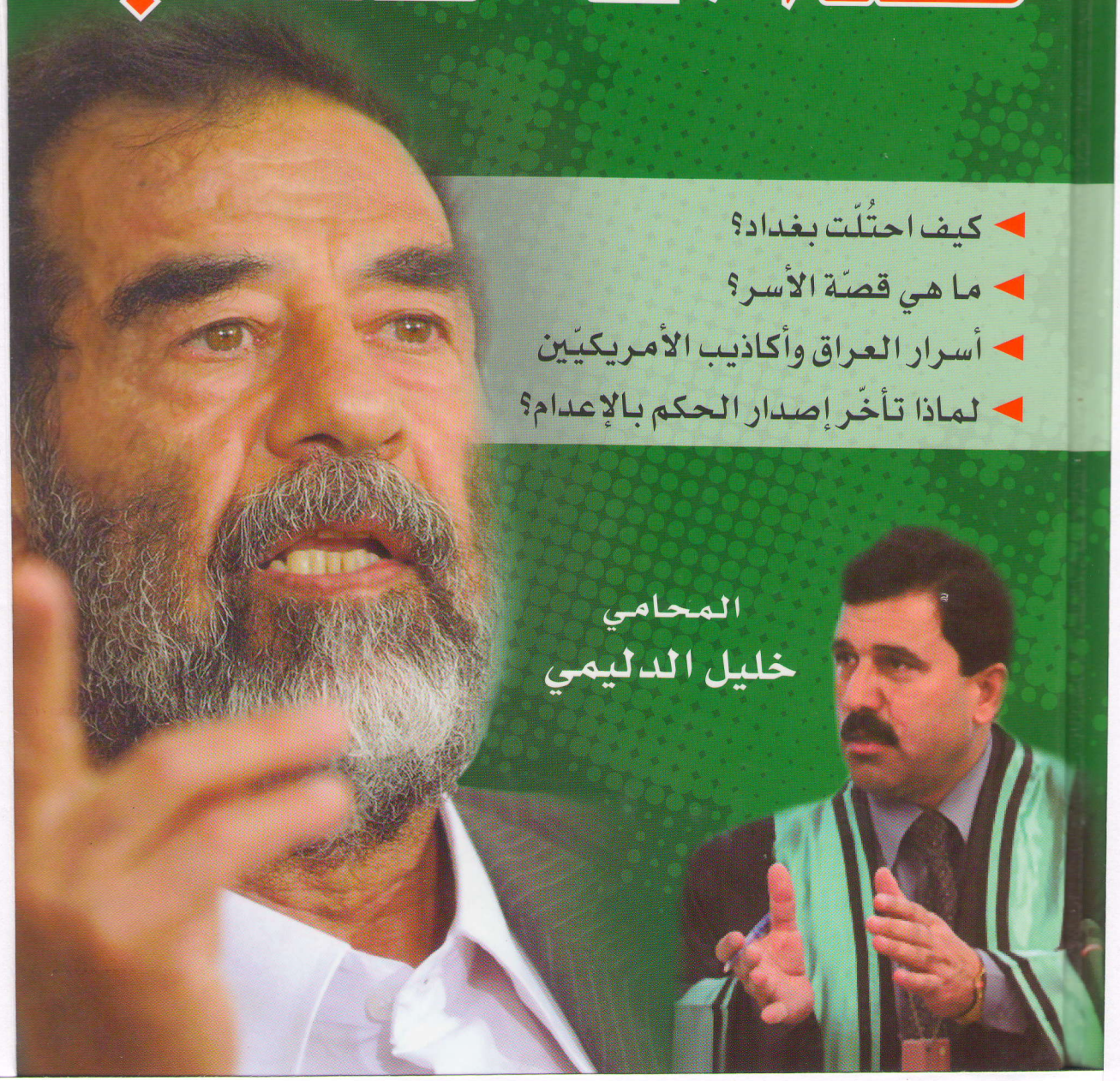

المحامي
خليل الدليمي

صدّام حسين

من الزنزانة الأمريكية :

هذا ما حدث !

المحامي خليل الدليمي
رئيس هيئة الإسناد
للدفاع عن الرئيس صدام حسين ورفاقه المعتقلين

صدّام حسين
من الزنزانة الأمريكية:
هذا ما حدث!

تحرير:
إنصاف قلعجي

شركة المنبر
للطباعة المحدودة
الخرطوم

فهرسة المكتبة الوطنية ـ السودان
956.708 خليل عبود الدليمي
خ.ص صدام حسين من الزنزانة الأمريكية: هذا ما حدث!./ خليل عبود الدليمي. ـ الخرطوم 2009م.
480ص ؛ 17 × 24سم.
ردمك: 978-99942-927-8-3
1. العراق ـ تاريخ ـ العصر الحديث ـ صدام حسين.
2. حروب الخليج.
3. صدام حسين ـ المذكرات.
أ. العنوان.

حقوق الطبع محفوظة للناشر

الطبعة الأولى
الخرطوم ـ ٢٠٠٩م

شركة المنبر
للطباعة المحدودة
السودان ـ الخرطوم ـ المقرن ـ شارع الغابة
هاتف: ٧٤٧٨٧٨ ١٨٣ ٠٠٢٤٩ ـ ٧٤٧٨٧٧ ١٨٣ ٠٠٢٤٩ ـ فاكس: ٧٤٧٨٧٦ ١٨٣ ٠٠٢٤٩
البريد الإلكتروني: E-mail: alminbarsd@yahoo.com

الإهداء

إلى وطن ليس كمثله وطن،

إلى دماء ليس كمثلها دماء،

إلى شهداء ليس كمثلهم شهداء،

إلى قامة سامقة كالعراق،

إلى هدير يسقي صرح الكرامة،

إلى مقاومين يعيدون صياغة الحياة ..

ومنهم ومني، إلى شهيد الحج الأكبر .. صدام حسين.

خليل الدليمي

فهرس المحتويات

الإهداء ٥

تمهيد - لماذا الكتاب بقلم خليل الدليمي ١٥

شهادة أسير من رفاق صدام حسين ٢١

كلمة - بقلم علي الصراف ٣٥

كلمة لا بد منها ـ صدام حسين من العوجة... إلى القصر الرئاسي ٤١

الفصل الأول: البداية ٤٩

الفصل الثاني: رحلة اللقاء التاريخي ٦٥

الفصل الثالث: الصفحة الأولى من المعركة ـ الحواسم ٨٣

الفصل الرابع: الصفحة الثانية من الحواسم - المقاومة ٩٣

الفصل الخامس: أحداث سبقت عدوان ١٩٩١ ..... ١٠١

زيارة بريماكوف الأولى ١٠٥

لقاء جاك شيراك ١٠٦

الرئيس وشخصيات إعلامية وسياسية ١٠٧

وماذا عن الكويت؟ ١٠٨

موقف بعض الدول العربية من أزمة الكويت ١١٠

دور إيران في تأزيم قضية الكويت ١١٥

الانتفاضة الفلسطينية ١١٧

الفصل السادس: صدام حسين وقصة الشبيه ١٢١

الفصل السابع: كيف احتلت بغداد؟ ١٢٧
موفد عربي ١٣٤
زيارة بريماكوف الثانية ١٣٥
إخضاع الجيش لقيادة السياسيين ١٣٧
دور إيران في تسهيل الغزو ١٣٨
هل ثمة خيانة في قيادة الجيش ؟ ١٣٩
معلومات لم تصل إلى الرئيس ١٤٠
معركة المطار - بقلم الفريق أول الركن سيف الدين الراوي ١٤٤
المعركة التي لن ينساها الأمريكان ١٤٨
الفصل الثامن: قصة الاعتقال ١٥١
الرواية الأمريكية ١٥٣
الرئيس يروي قصة أسره ١٦١
الاعتقال والتعذيب وأول الزائرين ١٦٤
زنزانة الرئيس ١٦٦
بين المصحف والعائلة ١٦٧
الرئيس واستخدام الهاتف ١٦٩
الفصل التاسع: صدام حسين و١١ أيلول/ سبتمبر ٢٠٠١ ..... ١٧٥
الفصل العاشر: الدولة والمعارضة ١٨٣
الرئيس وأخطاء بعض أقاربه ١٩٠
١٥-الفصل الحادي عشر: محاولات أمريكا تشويه صورة الرئيس ١٩٣
محاولات رخيصة ١٩٧
أكاذيب أمريكا ١٩٩
قصة البحث عن الأسلحة ٢٠٠
محاولة تضليل الرئيس ٢٠٢
تشويه صورة الرئيس ٢٠٣
الموساد تستجوب محامي الرئيس ٢٠٤

زيارات وزراء الاحتلال ٢٠٧
الفصل الثاني عشر: ديمقراطية الذئاب ٢٠٩
الحواجز الأمريكية ٢١١
ساعة الرئيس اليدوية ٢١٣
كيف عاملوا الرئيس الأسير ٢١٤
الإضراب عن الطعام ٢١٩
كيف تلقى الرئيس نبأ استشهاد ولديه وحفيده ٢٢٠
قصة الوشاية ٢٢١
الفصل الثالث عشر: كيف يستشرف صدام حسين المستقبل ٢٢٧
أمريكا وإيران ٢٢٩
الفصل الرابع عشر: الرئيس والموقف العربي والدولي ٢٣٩
لقاء الرئيس مع وزير إيراني ٢٤٤
ذكريات مع بعض الأشقاء ٢٤٥
الفصل الخامس عشر: دعوة الرئيس للتنحي ٢٥١
مبادرة الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان ٢٥٣
بوش وثمن التنحي ٢٥٦
الفصل السادس عشر: الجهود الدبلوماسية لإنقاذ الرئيس ٢٥٧
اتصالات مع القادة العرب ٢٦١
بعض المبادرات لإطلاق سراح الرئيس ٢٦٣
الفصل السابع عشر: الرئيس وسير المحاكمة ٢٦٧
توجيهات الرئيس للمحامين ٢٧٤
ما الذي حصل في الدجيل ؟ ٢٨٠
الفصل الثامن عشر: مساومة الرئيس ٢٨٧
أحاديث عن الأمريكيين والروس ٢٩١
رسالة إلى واشنطن ٢٩٦
الفصل التاسع عشر: توقعات ومشاعر ورسائل ٢٩٩

رسالة الرئيس إلى طالباني ٣٠٣
اعتزاز بالعرب والعراقيين ٣٠٤
رسالة إلى التيارات الوطنية ٣٠٦
البعث والمستقبل ٣٠٦
رسالة الرئيس إلى الأستاذ عزّة الدوري ٣٠٧
الفصل العشرون : محاولات اقتحام سجن الرئيس ٣٠٩
خطة الاقتحام ٣١٧
الفصل الحادي والعشرون: محاولات اختطاف الرئيس ٣١٩
محاولة لتخليص الرئيس أو التخلص منه ٣٢٢
عرض نفي الرئيس ٣٢٥
لعبة التصيد ٣٢٧
لا مساومات ٣٢٨
البيان المجهول ٣٢٩
الفصل الثاني والعشرون: ماذا دار في جلسات التحقيق ؟ ٣٣١
الرئيس وعزل المحامين ٣٣٣
لقاء الرئيس مع القاضي في ٢٣/٨/٢٠٠٥ ..... ٣٣٤
جلسة ١٥/٩/٢٠٠٥: صلابة وتحدّ ورجولة ٣٣٤
جلسة التحقيق في أحداث ١٩٩١ ..... ٣٤٤
الفصل الثالث والعشرون: جوانب إنسانية في شخصية الرئيس ٣٥١
علاقة الرئيس بالمحامين ٣٥٥
قرارات المحاكم سابقاً ٣٥٧
الحذر الأمني والنظافة ٣٥٩
الرئيس في قاعة المحكمة ٣٦١
ممارسة الشعائر الإسلامية ٣٦١
الرئيس والمرجعيات ٣٦٢
مواقف صعبة ٣٦٣

صحة الرئيس ٣٦٨
الفصل الرابع والعشرون: اللقاء الأخير مع المحامين ٣٧١
الفصل الخامس والعشرون: الساعات الأخيرة ٣٨١
ألاعيب ودسائس ٣٨٤
أمريكا وإيران وحلبجة والمحامون ٣٨٧
صفقة قتل الرئيس ٣٩٠
آخر طلب للرئيس ٣٩١
تسليم الرئيس لحكومة الاحتلال ٣٩٣
كيف تصرّف الرئيس بمواجهة السفاحين ؟ ٣٩٤
الرئيس يصعد سلّم الشهادة والمجد ٣٩٥
لماذا ٣٩ عقدة ؟ ٣٩٦
هل شنق أم قتل ؟ ٣٩٧
دلالات المكان ٣٩٨
الرئيس وتسليم مسؤولياته الدستورية ٤٠٠
الفصل السادس والعشرون: الوصية - الوثيقة التاريخية ٤٠٥
الفصل السابع والعشرون: هيئة الدفاع .. كلمة حق ٤١٥
الملاحق ٤٢٩
ملحق رقم (١): رسائل من صدام حسين المقاوم ٤٣١
ملحق رقم (٢): بيانات النعي ٥٤٥
ملحق رقم (٣): نص مقابلة الرئيس مع السفيرة الأمريكية ٤٥٥
ملحق رقم (٤): من نص الوثيقة التي خطها الأسير من رفاق صدام حسين
في المعتقلات الأمريكية ٤٦٥
صور للرئيس صدام حسين ٤٦٨

صدام حسين

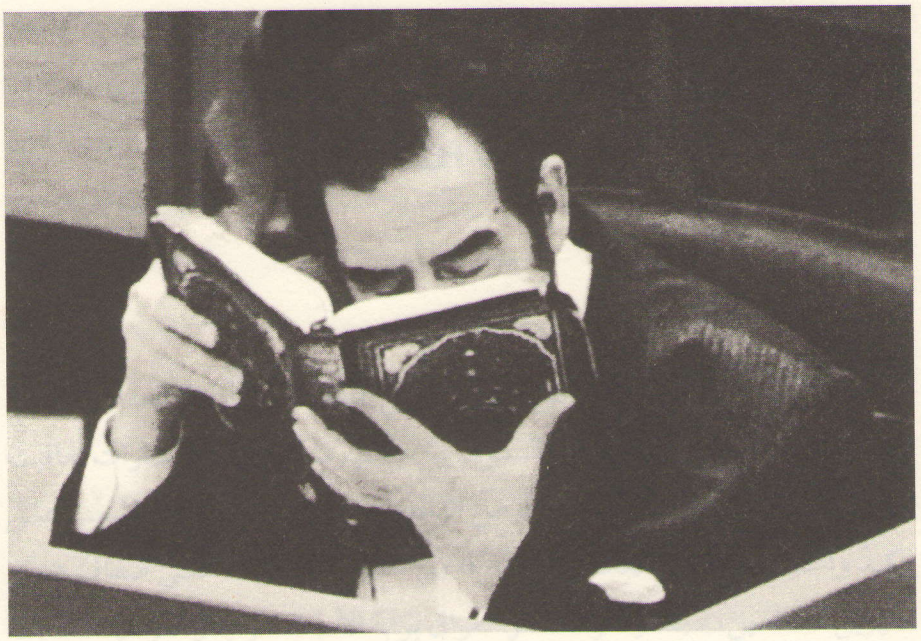

أنا رجل دولة حازم ودقيق. سيفي بيميني ولكن بالحقّ. عادل وغيور وشريف. لا أقبل من أحد كبر أو صغر، قرب أو بعد، التلاعب واللعب على الذقون والقانون. وفي نفس الوقت، رؤوف بالناس تملأ الرحمة نفسي، والحزم بالحقّ قلبي، فمن يعين نفسه في العودة عن الخطأ بمثقال، أعينه بما يرفع عنه الأثقال ويمهّد أمامه السبيل بعد عثرة بأرطال. وأشعر بأخوّة وأبوّة خاصة تجاه فقراء الحال من الناس، ليس تطبيقاً لاعتقاد فحسب، وإنما حنوّاً خاصاً إزاءهم.. كريم مع الكرماء، شديد مع اللؤماء.. أفضّل أن أُخدع على أن أخدع أحداً أو أشكّك مسبقاً به، وأن أُظلم على أن أظلم أحداً، حريص على أموال الدولة، وإذ أجمعها بالملعقة، أجزل بها لضرورات وطنية أو إنسانية، وطبقاً لصلاحياتي الدستورية، بالمغراف... أخشى التاريخ أكثر مما أخشى الحاضر، ولا أخطو خطوة في الحاضر إلا وضعتها طبقاً لرؤياي وسط المستقبل. أعرف السياسة الدولية وأساليبها بالتورية والمباشرة في العصر الحاضر، ولكنني لا أحبها حتى وأنا أمارس القسم الأقل نجاسة وأكثر طهارة فيها...

(من مذكرات الرئيس صدام حسين في المعتقل)

تمهيد

لماذا الكتاب

في البدء، كانت أرض ما بين النهرين، وفي البدء، كانت أرض العراق العظيم. بلاد الحضارات التي أشرقت مع السومريين وحروف الكتابة. حضارات تعاقبت وتركت آثارها القيمة على الأرض، أرض الرافدين. شواهد تحكي قصة شعب عمل وكدّ واجتهد، فاستقى العالم كل معارفه من حضارات قامت على ضفاف هذين النهرين الخالدين، دجلة والفرات. هو العراق بوابة الأمة الشرقية وحارسها، تعاقبت عليه الغزوات من كل حدب وصوب، وشهدت أرضه سقوط ممالك ودول .

وفي العصر الحديث، شهد العراق تطوراً تنموياً هائلاً، اقتصادياً وبشرياً وثقافياً وصحياً وعسكرياً بعد تأميم نفطه الذي أصبح بيد أبنائه بعد أن كان بيد الأجنبي، فقضى على الأمية، وشهد له العالم بإنجازاته في المجال الصحي والعلمي والتكنولوجي، وبنى جيشاً يعتبر رابع جيش في العالم من حيث تجهيزه وكفاءته، وانتصر على ألد أعدائه في حرب لا نظير لها، ونال أبناؤه الكرد أفضل الحقوق قياساً على نظرائهم في الدول المجاورة. وشهدت هذه المرحلة تطوراً صناعياً وثورة علمية هائلة، رغم أن هذه الفترة كانت من أصعب المراحل في تاريخ العراق الحديث، وهي الفترة الممتدة بين الأعوام ١٩٦٨ و ٢٠٠٣. حرب طويلة امتدت لثماني سنوات، وحرب عالمية عام ١٩٩١، وحصار دام أكثر من ثلاثة عشر عاماً، ثم حرب وغزو أمريكي بريطاني صهيوني إيراني .. أحداث دامية .. يرويها الرئيس صدام حسين في هذا الكتاب وفي وثائق لاحقة .

في عام ٢٠٠٥، عرضت على الرئيس الأسير صدام حسين في المعتقل

الأمريكي فكرة تدوين مذكراته لنشرها. وافق الرئيس على الفكرة وشجعني على تنفيذها. غير أن حرس السجن الأمريكيين حرموا علينا تبادل أية أوراق حتى ربيع ٢٠٠٦. ولم يكن الرئيس يثق بأن الأمريكيين سيسمحون له بتدوين مذكراته لنشرها. غير أنه تحمس للفكرة وقال لي: «من الضروري تدوين مذكراتي، فالأعمار بيد الله، وسأروي لك كل ما تسعفني به ذاكرتي، لكي تدونه».

قبل ذلك، وفي إحدى جلسات التحقيق التي يديرها(القاضي) منير حداد، سلّمني الرئيس بعض الأوراق من مذكراته المكتوبة بخط يده، لكن الكابتن مايكل ماكوي(مدير مكتب الارتباط الأمريكي)، طلب من الرئيس إعطاء هذه الأوراق إلى القاضي الذي استلمها ووعد بتسليمها لي حال قراءتها والتأكد من محتواها، لكنه لم يفِ بوعده، وعندما سألني الرئيس عن مصيرها، أخبرته، فغضب. وبعدها اتفقنا على إملاء هذه المذكرات وتمرير الكثير منها بخط الرئيس وتوقيعه .

وهكذا، حمّلت نفسي مثلما حمّلني الرئيس صدام حسين مسؤولية إيصال حقيقة ما جرى في بلدنا الحبيب قبل الغزو والاحتلال وبعده على لسان قائد بلدنا الشرعي، بدءاً من طفولته ثم توليه القيادة، مروراً بمرحلة البناء والمراحل العصيبة التي مر بها العراق وخصوصاً حملة الغزو والاحتلال الأمريكي عام ٢٠٠٣، وما تلا ذلك من أيام لم يشهد لها العراق مثيلاً في كل تاريخه من حيث قسوة الاحتلال وحلفائه وأتباعه ووحشيتهم وإجرامهم وحقدهم على العراق وشعبه من جهة، ومن حيث بسالة شعبنا العراقي وهمته وشجاعته وصموده وتضحياته وبطولات أبنائه في مواجهة الاحتلال من جهة أخرى.

وقد آليت على نفسي أن أكون أميناً على نقل ما يرويه لي مما كان يتذكره ويريد إيصاله إلى شعبه وأمته، فضلا عن إجاباته على تساؤلاتي الكثيرة عن جوانب شتى من هذه المسيرة المباركة. وقد ألحّ عليّ أن أدوّن كل ما يقوله ويرويه، لأنه كان يتوقع أن يصفيه الأمريكيون جسدياً في أي وقت، وترك لي طريقة عرض مذكراته واختيار دار النشر. وسألني عن عنوان الكتاب، فقلت له إن لدي عناوين عدة، أولها «العدالة خلف القضبان». فاقترح هذا العنوان، لكنني أخبرته أنه ربما يكون عنواناً

لكتاب يتعلق بكل ما حصل داخل المحكمة. عندها ترك لي حرية تسمية الكتاب الأول المتعلق بالمذكرات التي أملاها عليَّ.

وها أنذا أقدم ما رواه لي الرئيس صدام حسين، الرئيس الشرعي لجمهورية العراق من ذكرياته عن جوانب أساسية من حياة العراق ومسيرة دولته الوطنية لما يقرب من أربعة عقود، عبر كل مراحل التحدي والبناء والدفاع عن الوطن التي سبقت عدوان ١٩٩١ وتلك التي أعقبته وصولاً إلى مرحلة الغزو والاحتلال والمقاومة الباسلة لمشروع الاحتلال.

إن هذه الأوراق وثيقة تاريخية مهمة، أقدمها لشعبه العراقي ولأبناء أمته العربية والإسلامية وللرأي العام العالمي، مثلما أقدمها للتاريخ ليكونوا جميعاً حكماً على سيرة صدام حسين القائد التاريخي العراقي العربي المسلم، وصدام حسين الإنسان والمجاهد والمؤمن الذي قدم حياته راضياً شامخاً فداءً لوطنه وقضيته ومبادئه وعقيدته الوطنية العربية الإسلامية.

لقد أبدى عدد كبير من رجال السياسة والقانون والأدب، أصدقاءً وأشقاءً، رغبتهم في أن يكتبوا عن الرئيس الشهيد صدام حسين، ولكن الحيز محدود، ولم يتسع إلا لكلمة ذات دلالة ورمزية عالية تلخص كثيراً من الكلام، كتبها صحافي ومثقف عراقي بارز كان معارضاً للرئيس وللنظام الوطني العراقي.

وملاحظة إلى القارىء الكريم. إن كتاباً واحداً لا يتسع لمذكرات الرئيس الشفوية والخطية التي بلغت مئات الصفحات، بالإضافة إلى الشعر الذي ناهز الألف بيت. لذا أكتفي في هذا الكتاب بنشر مذكرات الرئيس الشفوية على أن أنشر مدوناته الخطية لاحقاً.

يقول أحد الفقهاء: «لا يكتب إنسان كتابا في يومه إلا قال في غده: لو غيّر هذا لكان أحسن، ولو زيد هذا لكان يستحسن، ولو قدم هذا لكان أفضل، ولو ترك هذا لكان أجمل. وهذا من أعظم العبر، وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر».

أما ما نقدمه بين دفتي هذا الكتاب، فهو ليس تأليفاً أو قصة أو رواية يمكن

استبدال عباراتها أو كلماتها، لأنها شهادة بل وثيقة لا يمكن أن تفسر أو تؤول أو تغير كلماتها. إنها شهادة على لسان أحد صانعي تاريخها، تاريخ العراق الحديث، وثيقة تتحدث عن الظلم الذي وقع على العراق الحبيب، والدسائس التي حيكت ضده في الخفاء والعلن. أرويها بكل أمانة في هذا الكتاب. ونتحفظ على بعض الأمور المهمه نرويها حين تتغير ظروف العراق. ونستثني من كل ذلك الأمور الخاصة المتعلقة باعتبارات شخصية تتعلق بالرئيس صدام حسين.

ويسعدني هنا أن أسجل أسمى مشاعر الشكر والتقدير والعرفان لكل من أسهم في نشر هذا الكتاب، ولكل من ساعدني بالفكرة النزيهة المخلصة وبالأعمال الفنية المتصلة بالتحرير والمراجعة وترتيب عملية النشر النهائية، وإلى كل الذين تطوعوا جنوداً مجهولين لمساعدتي في إنجاز الكتاب. لهم جميعاً مني ألف تحية وألف شكر. وفقهم الله ووفقنا جميعا لخدمة عراقنا الحبيب وأمتنا العربية المجيدة، والله ولي التوفيق .

المحامي خليل الدليمي

رئيس هيئة الدفاع

من صدّام حسين
إلى محاميه خليل الدليمي

مساء ٢٠٠٥/٣/٦

شحّت أخلّة وتقدّم بها خليل ... وكلّ على محتدّه والأصول
من ذي أصل يجبّ الغيبة عنه ... وتزهو فروعه به والفضول
وأثرٌ بائنٌ يلحقه بنائلة لا ... يتردد في دمه أو يميل
هكذا خليلنا عطرٌ وعافيةٌ ومن ... مثله بالمسك مغمّسٌ مأهول
يا دليل المبادىء مجيئك صادق ... ماء عذب دونك ماء سحول
للقلب شارة يعطيها عن صاحبه ... نغنى به وهو الأمين الدليل
ينيبنا القلب لو عزّت تفاصيل ... لنا به صول وهو بنا يصول
فما كلّت عواتقه في مهمّة ... صبور في الصعب سخيّ حمول
لنا شمعة في كلّ دار شريفة ... تعرف الحقّ ولها به صهيل

صدام حسين في ميزان التاريخ[1]

بقلم: أسير من رفاق صدام حسين

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ ٱلْقَارِعَةُ ۝١ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٢ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٣ يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ
كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ۝٤ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ۝٥
فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٦ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ
مَوَٰزِينُهُۥ ۝٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ۝٩ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ۝١٠ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ۝١١ ﴾

سورة القارعة

إذا كتب تاريخ أحداث القرن العشرين بإنصاف وموضوعية، سيُذكر صدام حسين كواحد من أعظم قادة هذه الحقبة. وإذا كتب تاريخ الأمة العربية في هذه المرحلة، سيُذكر صدام حسين كأحد أعظم قائدين عربيين هو وجمال عبد الناصر.

وكما رأينا الكم الهائل من التهم والإساءات التي وجهت إلى جمال عبد الناصر في حياته وبعد مماته، نجد مثلها بل أكثر وأشد ضراوة مما وجه إلى صدام حسين. لقد اتهم صدام حسين بأنه دكتاتور وجلاد وحاكم أغرق بلاده في حروب عديدة قتل فيها مئات الألوف من العراقيين والإيرانيين وغيرهم، كما بدد ثروة بلاده في هذه المغامرات وفي بناء القصور وما شاكل ذلك من التهم المعروفة. ومن

(١) انظر نص الوثيقة الأصلي بيد رفيق صدام حسين، صفحة ٤٦٥.

المعايير التي لا تقبل الخطأ في الحياة وفي تقييم أنظمة الحكم قديماً وحديثاً، هي التعرف أولاً على أولئك الذين وجهوا أو يوجهون مثل هذه التهم من العراقيين والعرب والأجانب. ولعل المعيار الصحيح لمعرفة الحقيقة في هذا الشأن هو القول الشهير لأعظم شعراء العرب أبو الطيب المتنبي الذي قال :

وإذا أتتك مذمتي من ناقص فهي الشهادة لي بأني كاملُ

فمن هم فرسان هذه الحملة الشعواء التي استمرت عدة عقود من الزمن وما تزال مستمرة بعد اغتيال صدام حسين واستشهاده ؟

أول هؤلاء هم اليهود الصهاينة من حكّام إسرائيل ورجال الدعاية فيها وأنصارهم من الأجانب وخاصة في الولايات المتحدة وأوروبا. وإذا عرفت هذه الحقيقة وهي حقيقة ثابتة، يمكنك بسهولة أن تعرف السبب. وينطبق هذا على صدام حسين كما ينطبق على جمال عبد الناصر .

إن اليهود الصهاينة في إسرائيل وحلفاءهم من الأجانب أدركوا بدون أي شك أن جمال عبد الناصر وصدام حسين هما أخطر قائدين عربيين على إسرائيل، فكل واحد منهما في زمانه كان هو العدو رقم واحد لإسرائيل. وإذا كان كذلك، فلا بد من تدمير هذا العدو. سأعطي مثلاً بسيطاً جداً. كان جمال عبد الناصر رجلاً جميل الطلعة وطويلاً ورشيقاً وذا سمات محببة لمن ينظر إليه. وكذلك كان صدام حسين من أجمل الرجال قامة ووجهاً وطلعة. وكانت الصحف الغربية المتصهينة وصحف الأعداء من العرب تنشر اضطراراً صور هذين القائدين في بعض المناسبات .. ولكن كان هناك دائماً سلاح الكاريكاتير. وعبر حياة هذين الرجلين العربيين العظيمين، كانت الصحف إياها تنشر من الكاريكاتير أضعاف أضعاف ما تنشره من صور لهما. ولكنك عندما تنظر إلى الكاريكاتير الذي يصور جمال أو صدام، ستجد رجلاً ذا ملامح وحشية، مترهل الجسم، مرعب النظرة. والكاريكاتير عن جمال وصدام هو ما كان مطلوباً أن يشاهد من قبل الناس وخاصة في الغرب، فالذي يشكل خطراً على إسرائيل والصهيونية، لا بد أن يدمغ بالوحشية والقبح وسوء الطبيعة. وهكذا تحول أجمل قائدين عربيين في عصرهما إلى أبشع رجلين .

وإلى جانب حقد اليهود الذي ذكرناه على صدام حسين وجمال عبد الناصر، كان وما يزال هناك حقد يهودي على العراق يرجع إلى عهد نبوخذ نصر وبابل. وقد يبدو هذا الكلام بعيداً عن الواقع ومتطرفاً ولكنه الحقيقة. إن العملية الإسرائيلية التي قامت بها إسرائيل لتدمير المفاعل النووي العراقي عام ١٩٨١، أطلق عليها بيغن رئيس وزراء إسرائيل آنذاك اسم (بابل) تذكيراً بسبي اليهود إلى بابل في عهد نبوخذ نصر.

وإلى جانب الحقد اليهودي المعروف الأسباب، كان هناك حقد فارسي خاص ضد العراق وبالتالي ضد صدام حسين. لقد كان الفرس يتطلعون عبر التاريخ إلى السيطرة على بلاد وادي الرافدين. وقبل ظهور الإسلام كان الفرس يسيطرون على العراق. وقد حرر العرب المسلمون العراق من الهيمنة الفارسية في معركة القادسية. ولربما يقول البعض ما صلة هذا بالجمهورية الإسلامية الإيرانية، فأقول إن لذلك صلتين أساسيتين أولهما: النزعة العنصرية الفارسية التوسعية التي عانى منها العراق عبر التاريخ والتي بقيت في بلاد فارس حتى بعد قيام الجمهورية التي سميت بالإسلامية. وثانيهما: طبيعة ما يدعى بالجمهورية الإسلامية الإيرانية. ولربما يظن البعض أن حقد إيران على صدام حسين كان نتيجة للحرب العراقية - الإيرانية. ولكن عندما كان خميني في باريس قبل الثورة، سأله أحد الصحفيين الأجانب من هم أعداؤك ؟ فأجاب خميني .. أعدائي هم أمريكا والشاه وصدام حسين. وكان صدام في ذلك الوقت ما يزال نائباً للرئيس، ولم يكن هناك حرب بين العراق وإيران. فلماذا يستهدف خميني العراق وصدام حسين حتى قبل أن يصبح صدام حسين رئيساً، وإن كان معروفاً آنذاك أنه القائد الفعلي للنظام. والسبب الثاني يعود إلى نظرية خميني التي بنى عليها نظامه وهي (نظرية ولاية الفقيه). إن ولاية الفقيه تعني أن الفقيه الذي يأتي للقيادة (وهو خميني)، سيكون نائب الإمام المهدي المنتظر، وبالتالي قائد المسلمين الشيعة في العالم، وبدون ذلك لا يكون كما يدعي نائباً للإمام المهدي، ولا يمكن لفقيه فارسي أن يكون قائداً للشيعة في العالم حتى لو أصبح حاكم إيران إذا لم يسيطر على المراكز الرئيسية التي تشكل رموز المذهب الشيعي (الجعفري) وهي النجف وكربلاء والكاظمية وسامراء. إن نائب الإمام يجب أن يكون السيد والمرجع في

هذه المواقع الرمزية الأساسية، وهذه المواقع هي مواقع عراقية، ولا بد من السيطرة عليها حتى تكتمل صفات نائب الإمام. إذن لا بد من إزاحة حزب البعث وقيادته من العراق، والسيطرة على هذه الأجزاء من العراق. بل إن هذا الهدف يفسر حالياً كثيراً من المواقف السياسية والتحالف بين الحزبين الشيعيين (الدعوة والمجلس الإسلامي) مع الحزبين الكرديين الديمقراطي والاتحاد الوطني الكردستاني، يفسر هذا الهدف ، فما دام الحزبان الكرديان مستعدين لتسليم السلطة لهذين الحزبين الجعفريين في هذه المواقع الرمزية الأساسية، فلا مانع أن يعطي هذان الحزبان الشيعيان الرئيسيان الحزبين الكرديين ما يطلبانه من بقية العراق، وهذا يفسر المواقف حالياً حول كركوك ونينوى وديالى.

إن المهم بالنسبة لليهود هو أن لا يبقى في العراق من يضع تمثالاً لنبوخذ نصر الذي احتل إسرائيل وسبى اليهود إلى بابل، وأن لا يكون هناك تمثال لصدام حسين الذي كان يقول بأعلى صوته حتى آخر يوم من أيامه (عاشت فلسطين حرة عربية من النهر إلى البحر). والمهم بالنسبة للفرس وأتباعهم، أن يكون المرشد (الذي هو نائب الإمام) السيد بدون منازع في سامراء والكاظمية والنجف وكربلاء. إن هناك حلفاً خفياً بين أمريكا المتصهينة في عهد بوش الصهيوني وبين أتباع خميني من العراقيين.

إن ظروفي الراهنة لا تسمح لي لأسباب عديدة أن أقول كل شيء عمّا ينبغي أن أقول عن جمال وعن صدام بوجه خاص، لأنني كنت من رجاله وكنت قريباً منه وإليه. ولكنني سألفت النظر إلى وجه واحد من الحقيقة وربما أكثر إذا سمح الظرف.. لقد مضى على احتلال العراق وإسقاط نظام صدام حسين أكثر من خمس سنوات. ويقول الذين جاؤوا بعد صدام وحزب البعث من الأمريكان والعراقيين إنهم يبنون عراقاً جديداً بعد إزاحة الديكتاتورية ونظام الحزب الواحد. ولا أقول في ذلك شيئاً سوى أنني أطلب من كل مراقب موضوعي وشريف ليس من أنصار صدام أو رجاله، بل من الناس العراقيين والعرب والأجانب أن يرسموا لوحة مقارنة بين الحال في عهد صدام وحزب البعث وبين هذا العراق الجديد. طبعاً في السياسة هناك الكثير

من الاهتمامات التي يعول عليها السياسيون في إصدار الأحكام، ولكن في الحياة كما في حالات الدول، هناك بعض المعايير التي لا تقبل الخطأ أو الاجتهاد في تقييم الأنظمة ومواقف الدول سواء كان المجتهد شيوعياً أو تقدمياً أو رجعياً، ديمقراطياً أو دكتاتورياً.

لننظر إلى الفرق بين الحالين في عهد صدام حسين وبعده في بعض الأمور التي هي جوهرية في حياة الناس وفي وصف أنظمة الحكم.

أولاً: الأمن الداخلي، إن كل شعوب العالم تطلب أول ما تطلبه من الحكومة أن توفر لها الأمن، أي أن ينام المواطن في بيته ويخرج في الصباح إلى عمله ويعود سالماً. وكذلك إذا ذهب لزيارة صديق أو قريب أو للتمتع بمشاهدة فيلم سينمائي أو مسرحية أو الجلوس في مقهى .. إلخ من الفعاليات الإنسانية العادية .. لا يستطيع أحد أن ينكر الحقيقة في أن الناس في العراق وطيلة أكثر من ثلاثين سنة، تمتعوا بالأمن الكامل عدا فترة قصيرة في بداية الحرب مع إيران، وفي الفترات التي شنت فيها أمريكا الحرب أو الغارات الواسعة على العراق. وبرغم الصراعات السياسية التي قيل عنها الكثير، لم يحصل في العراق في عهد صدام حسين أن يستيقظ العراقيون ليجدوا جثثا مرمية في الشوارع أو المزابل بأعداد كبيرة تقول عنها السلطة بأنها مجهولة، مع العلم أنه لم يكن هناك في العراق شخص عراقي مجهول، فلكل عراقي سجل في دوائر الدولة، وله هوية تتضمن اسمه وتاريخ ولادته ومكان سكنه ..إلخ من المعلومات الأساسية. وإذا حصل أن واحداً من هؤلاء المواطنين مات فجأة في الشارع بسكتة قلبية أو بحادث سير أو اغتيالاً، كانت الشرطة تستطيع التعرف عليه خلال دقائق أو ساعات في أسوأ الأحوال.

هكذا كان الحال في العراق قبل صدام وفي عهده طيلة أكثر من ثلاثين عاماً.

أما في العهد الجديد الذي جاء بعد صدام وحزب البعث، فإن العراقيين والسلطات الرسمية يجدون يومياً عشرات من الجثث لمواطنين عراقيين مرمية في الشوارع والمزابل، وتقوم السلطات بنقلها إلى ثلاجات الموتى من دون أن يعرف القتيل والقاتل. وبعد أسابيع وأشهر، وعندما تمتلىء الثلاجات تنقل الجثث إلى

مقبرة في كربلاء لتدفن في مقبرة جماعية هي من أكبر المقابر الجماعية في العراق الذي يدعي فرسان العهد الجديد أنه كان مليئاً بالمقابر الجماعية في عهد صدام وحزب البعث.

ولا يقف الأمر عند الأمن فقط وإن كان في مقدمة ضرورات الحياة الإنسانية.. فبالإضافة إلى الأمن الداخلي الذي فقد بعد صدام حسين، هناك **حاجات أساسية** بعضها لكل الناس والبعض الآخر اعتاد عليها العراقيون وعاشوها. صحيح أن العراقيين فقدوا بعض ما كانوا قد اعتادوا عليه، ولكن متى حدث ذلك ؟ حتى في إبان الحرب الطويلة مع إيران التي استمرت ثماني سنوات، بقيت حياة الناس في العراق محتملة. وخير دليل على ذلك أن الشعب العراقي صمد في تلك الحرب الضروس وقاتل بشجاعة وكفاءة، وأجبر حكام طهران في النهاية على التوقف ولو الموقت عن أحلامهم المريضة في الإطاحة بالنظام الوطني والسيطرة على العراق. وخرج العراق من تلك الحرب التي راهن كثيرون على أنها ستؤدي إلى تدمير العراق، قوياً معافى.

إن **الصعوبات المعاشية** التي عانى منها العراقيون بدأت بعد فرض الحصار الشامل على العراق. إن الجميع يعرف بأن الحصار فرض بعد عام ١٩٩١ لم يكن له مثيل في تاريخ الأمم المتحدة، فلقد سبق أن فرضت عقوبات على دول أخرى، ولكن الحصار الذي فرض على العراق كان مشروعاً هدفه خنق العراق وتدميره وتسهيل مهمة إسقاط نظامه الوطني. ولا حاجة لذكر الأدلة والشواهد على ذلك، فهي معروفة تماماً للجميع. وبعد سنوات من فرض هذا الحصار الشامل، حصلت متغيرات في الموقف الدولي. ففي الوقت الذي بقيت أمريكا وبريطانيا تمارسان هذه السياسة، تغيرت مواقف فرنسا وروسيا تدريجياً، ولم تعودا تشاركان في لعبة إسقاط النظام الوطني. غير أن امتلاك أمريكا وبريطانيا لامتياز الفيتو في مجلس الأمن حال دون كثير من المحاولات التي جرت لتخفيف الحصار وحصره في إطار الفقرة ٢٢ من القرار ٦٨٧ الخاص بأسلحة الدمار الشامل. ومع ذلك شهدت السنوات اللاحقة تغيرات في المواقف خففت إلى حد ما من شدة الحصار. وفي الأعوام الأخيرة بعد عام ١٩٩٧، حصلت تطورات مكنت العراق من التحرك بشكل أيسر من السابق مما

انعكس بقدر ما على حياة شعب العراق وحكومته. والحقيقة الأساسية في هذا الشأن هي أن قيادة العراق برغم هذا الحصار الشامل القاسي، كانت تعمل بجهد يقرب من المستحيل على تخفيف العبء عن الشعب. وأول ما استطاع العراق إنجازه هو الحملة الوطنية الشاملة الفريدة من نوعها في إعادة إعمار ما تم تدميره في عدوان ١٩٩١. إن هذا العدوان الذي لم يكن له مثيل دمر كل ما كان يمتلكه العراق. ومع ذلك شرع العراقيون بقيادة صدام حسين في إعادة الإعمار اعتماداً على ما تبقى للعراق من وسائل وقدرات، وعلى إمكانات العراق المحدودة.

لقد دمرت حرب ١٩٩١ الجسور والطرق الرئيسية ومحطات الكهرباء وتنقية المياه والمصانع حتى مصنع حليب الأطفال. ومع ذلك استطاع العراقيون بهمة لا مثيل لها أن يعيدوا بناء الكثير مما دمر. وفي هذه النقطة تكمن حقيقة جوهرية عن طبيعة نظام صدام حسين، كما تكمن حقائق جوهرية عن الفرق بينه وبين النظام الذي جاءت به أمريكا إلى العراق بعد ٩/ ٤/ ٢٠٠٣.

إن إعادة الإعمار لم يكن فقط قراراً أصدرته القيادة، بل كان جهداً وطنياً شاملاً شارك فيه ملايين العراقيين بهمة وحماسة لا يمكن أن تتأتيا إلا إذا كان هناك صلة صحية بين القيادة والشعب وخاصة الفئات المتنورة من الشعب من العلماء والمهندسين والأطباء وأساتذة الجامعات وكل المثقفين العراقيين. فإذا كان النظام الدكتاتوري المتسلط الذي يستخدم القوة قادراً على إجبار الناس على حمل الحجارة لبناء أشياء مثل الأهرامات، لا يستطيع نظام دكتاتوري مكروه يرفضه الشعب أن يعيد بناء المصانع والجسور ومحطات الكهرباء والماء والتلفونات وغير ذلك من المواقع الحاكمة في المجتمع في ظروف حصار دولي قاس وشامل.

إن إعادة بناء كل ذلك يدل على الروح الوطنية العالية لدى العراقيين، كما يدل على علاقة صحّية بين الحكومة والشعب. الآن مثلاً دمر جسر واحد في بغداد بعمل إرهابي هو جسر العراقية. في حين دمرت في عام ١٩٩١ عشرات الجسور من بغداد إلى البصرة. وفي الوقت الذي لا يزال هذا الجسر مغلقاً أمام المارة، أعيد بناء عشرات الجسور المدمرة في العراق. والعراق الآن ليس واقعاً تحت الحصار،

ويدعي الأمريكان أنهم يساعدون العراقيين في بناء بلدهم. وفي الوقت الذي تزداد فيه موارد العراق من النفط بمعدلات خرافية ويستطيع العراق أن يتعامل مع كل العالم بدون أية عوائق مفروضة، تعجز الحكومات الحالية منذ سنوات عن توفير الكهرباء والماء الصالح للشرب والتلفونات، وتتوقف المصانع عن الإنتاج، وتتدهور الجامعات والمراكز العلمية، ويهرب المهندسون والفنيون إلى خارج العراق، بل قتل الكثير منهم واختفت أخباره. ومع ذلك تسمي الحكومة الحالية نفسها بأنها حكومة ديمقراطية انتخبت من قبل الشعب !!

وإذا قارنّا حال الفساد في الإدارة العراقية في عهد صدام حسين بحالة الفساد حالياً، نجد حالات محدودة وصغيرة الحجم في عهد صدام. انتشر الفساد في كل مرافق الدولة في عراق الديمقراطية والتحرير حتى أصبح العراق مضرب الأمثال في حالة الفساد.

إن هذه الأوضاع بين عهدين تضع مقاييس لا تقبل الجدل بين أصحاب هذا الموقف السياسي أو ذاك. إنها اختلافات جوهرية في طبيعة النظام الذي جاءت به أمريكا ومعها أتباعها وعملاؤها ومن اختارتهم هي بنفسها لحكم العراق منذ تشكيل مجلس الحكم في عهد بريمر وحتى هذا اليوم.

ويمكن اعتبار **البطاقة التموينية** معياراً أساسياً آخر لتقييم نظام صدام حسين والنظام الحالي لصلة هذه البطاقة بحياة الشعب وخاصة الفقراء منهم. فبعد صدور قرار الحصار بعد ٢/ ٨/ ١٩٩٠، قرر صدام حسين تأمين حصة تموينية من الأغذية الرئيسية كالأرز والطحين والسكر والشاي وحليب الأطفال والمنظفات وغيرها مما تيسر لدى الدولة. وبرغم الحصار الشامل الجائر وجفاف موارد الدولة، استمرت هذه البطاقة التي زودت لكل إنسان مقيم في العراق من العراقيين والعرب وحتى بعض الأجانب من الفقراء، بحد أدنى من الحاجات الغذائية الأساسية. فلم تحصل حالة مجاعة في العراق. وفي السنوات التي أعقبت تطبيق برنامج النفط مقابل الغذاء والدواء، بلغت الحصة التموينية إلى أكثر من (٢٠٠٠) كالوري [سعر حراري] في اليوم لكل فرد من أفراد الشعب. وقبل الحرب الأخيرة في (٢٠٠٣)، أمر صدام حسين بتوزيع حصة ثلاثة أشهر مقدماً تحسباً لما قد يحصل أثناء العدوان من اضطرابات.

وعندما كان أنصار ما يسمى بالنظام الجديد يرقصون فرحا عندما سحبت الدبابات الأمريكية تمثال صدام في ساحة الفردوس وأسقطته على الأرض، كان هؤلاء وعملاؤهم ما يزالون يأكلون من المواد الغذائية التي زودهم بها صدام. والآن كيف هو الحال !!

أولاً: رفع الحصار عن العراق وصار العراق قادراً على تصدير النفط ومنتجاته والكبريت وكل ما يمكن تصديره، كما أصبح قادراً على شراء كل ما يريد بدون رقابة وتدخل من لجنة العقوبات في مجلس الأمن، وارتفعت أسعار النفط حتى تجاوزت المائة دولار للبرميل الواحد. ويقول المسؤولون في «العراق الجديد» أنفسهم إن عائداتهم من النفط في عام (٢٠٠٨) بلغت ستين مليار دولار، بل وربما مائة وأكثر، مع العلم أن أعلى دخل من النفط العراقي لم يتجاوز ثلاثين مليار دولار بعد الأزمة التي حصلت بعد التغيير في إيران عام ١٩٧٩ وتعطيل تصدير النفط الإيراني.

الآن وبعد خمس سنوات وفي إطار كل هذه الظروف الملائمة للحكومة، **تتعثر البطاقة التموينية**، فلا تصل في أحيان كثيرة إلى مستحقيها، أو عندما تصل إلى البعض منهم تكون ناقصة، وفي أحيان كثيرة تكون المواد فاسدة وغير صالحة للاستهلاك البشري. وهذه ليست أسراراً بل هي معلومات معلنة يعرفها الجميع ويحس بها كل العراقيين. فهل يمكن المقارنة بين نظام يحرص في أحلك الظروف على تأمين الغذاء لشعبه وبين نظام آخر غني قادر على أن يشتري ما يشاء، ولكن لا يهتم بأمر الشعب والفقراء منهم ويسرق موارد الغذاء، ويتلاعب وزراؤه وموظفوه الكبار من أنصار النظام الجديد بالعقود للحصول على الأموال لتتحول إلى أرصدة في البنوك الخارجية ومن ذلك إيران !! ومع ذلك يتحدث هؤلاء بكل صفاقة بالسوء عن صدام حسين ونظامه، ويدّعون أنهم يبنون عراقاً جديداً فيه حكومة منتخبة ديمقراطياً من قبل الشعب.

وهناك **معيار أساسي آخر** هو كيف يعمل المسؤولون في النظام الجديد، وكيف كان يعمل المسؤولون في عهد صدام حسين وحزب البعث!!

في عهد صدام حسين الطويل عندما كان نائباً للرئيس، وبعد أن أصبح رئيساً، زار صدام حسين كل أنحاء العراق وتجول في شوارع المدن والقرى وأزقتها، والتقى مع الناس العاديين، ودخل بيوتهم وتعرف على أحوالهم المعاشية. وكانت هذه الزيارات واللقاءات تؤدي إلى قرارات وإجراءات لحل المشكلات وتحسين أحوال الناس. وكان رقم تلفون صدام حسين معروفاً للجميع، يستطيع المواطنون التحدث معه هاتفياً في أحيان كثيرة. وكان له مواعيد ثابتة يلتقي فيها المواطنين الذين يطلبون لقاءه. وكانت أعداد هؤلاء بالعشرات أحياناً وبالمئات أحياناً أخرى. وقد ألزم صدام حسين وزراء الحكومة بأن يحددوا مواعيد ثابتة معلنة يلتقون فيها مع طالبي اللقاء من موظفي وزاراتهم ومن المواطنين الذين لهم قضية ما مع وزارة الوزير. وكان الوزير ملزماً بتقديم تقرير إلى الرئاسة عن هذه اللقاءات وعن الإجراءات التي يتخذها..

أما فرسان النظام الديمقراطي الجديد الذين جاؤوا إلى الحكم كما يقولون بانتخابات حرة من الشعب، فإنهم منذ خمس سنوات وأكثر، قابعون في المنطقة الخضراء في حماية القوات الأمريكية، ولا يخرجون منها إلا نادراً، بل إن بعضهم لا يداوم في وزارته، ويدير شؤون الوزارة بالهاتف وبالمقابلات عندما يستدعي موظفيه إلى مكتبه في المنطقة الخضراء.

وخلال الحرب مع إيران، كان صدام حسين القائد العام للقوات المسلحة يزور قطعات الجيش حتى مستوى الفصائل والحضائر، ويلتقي مع الجنود وضباط الصف والضباط كباراً وصغاراً، ويتعرف على أحوالهم وأرزاقهم وحاجاتهم الأساسية. أما رئيس الوزراء المنتخب ديمقراطياً والقائد العام للقوات المسلحة، فإنه عندما شن الحملة العسكرية على مدينة البصرة والموصل، لم يشاهده أحد هناك، فلقد بقي في القاعدة البريطانية في البصرة وفي القاعدة الأمريكية في الموصل، ولم يلتق بأهل البصرة والموصل الذين انتخبوه في الانتخابات (الحرة) ليصبح رئيس الوزراء. وكما كان يفعل صدام حسين، كان يفعل وزراؤه، يقتدون به، فلم يحصل أن وزيراً ما لم يخرج من مكتبه خلال أسبوع ليزور دوائر وزارته، ويلتقي الموظفين، ويزور المشاريع والمواقع التي تعمل فيها وزارته وتبنيها. ويذكر العراقيون أنه في

ظروف الحصار الجائر وتراجع الخدمات بسبب نقص الموارد، كلف صدام حسين كل وزير بأن يكون مسؤولاً عن ناحية من النواحي في العراق يزورها بانتظام ويسعى إلى تحسين الخدمات فيها مستعيناً بموارد وزارته، وبمبالغ زهيدة تم توفيرها من ميزانية الدولة لإنفاقها على بعض الحالات والحاجات الطارئة. وفي الوقت الذي يعلن فيه العهد الديمقراطي الجديد أن بعض الوزارات بل أغلبها لم تنفق حتى المبالغ المخصصة لها في الميزانية للمشاريع وتحسين أحوال الناس، مما يعني أن هؤلاء الوزراء لم يشتغلوا أساساً ولم يعرفوا ما هي مهمات وزاراتهم، وما هي مشاكلها واحتياجاتها. ولكن هؤلاء الوزراء الأشاوس لم يتخلفوا عن حضور الندوات والمؤتمرات في الخارج خاصة في أمريكا والدول الأوربية، وعن الزيارات المتكررة لإيران. وفي الوقت الذي عاشت فيه عوائل المسؤولين معهم في العراق حتى أثناء الحروب والقصف بالطائرات والصواريخ والمدافع، فإن عائلات أغلب المسؤولين، إن لم يكن كلهم، يعيشون خارج العراق ويملكون هناك البيوت والشقق وأحياناً يزورون العراق كما يفعل السواح. وقد قيل الكثير الكثير عن مليارات الدولارات التي هربها صدام حسين إلى الخارج. وبعد خمس سنوات من إزاحة نظامه الوطني بالحرب واغتياله بالإعدام، لم يجد فرسان النظام الجديد وحلفاؤهم الأمريكان والإنجليز وغيرهم من الغربيين دولاراً واحداً في بنك من البنوك باسم صدام حسين. وهذا وحده يفضح جانباً آخر من الكذب والتزوير الذي مارسوه ضد صدام حسين ونظامه الوطني.

وأخيراً قالوا إن صداماً يملك قصرين في جنوب فرنسا، وأنهم يسعون إلى المطالبة بالقصرين باعتبارهما أملاكاً للدولة العراقية، في حين يعرف العاملون في وزارة الخارجية العراقية وفي سفارة العراق في فرنسا أن هذين البيتين (وليس القصرين) هما ملك للدولة العراقية أصلاً، ومسجلان باسم السفارة العراقية في فرنسا التي تدفع الرسوم المترتبة عليهما منذ نهاية السبعينيات وحتى اليوم. كما أن أحداً لم ير صداماً يزور فرنسا زيارة خاصة ويسكن في هذين البيتين. وحقيقة الأمر أن أحد أجهزة النظام في عهد صدام اشترى هذين البيتين من مسؤول فرنسي في حينه لقاء خدمات خاصة قدمها للعراق.

وأخيراً تحدثوا عن يخت لصدام حسين. والحقيقة أن صدام حسين لم يمتلك يختاً، واليخت هو ملك للدولة ومخصص لرئيس دولة العراق كما كان هناك يخت لرئيس دولة العراق في العهد الملكي، ولم يستخدمه صدام إطلاقاً خاصة وأن بناء اليخت أنجز بعد نشوب الحرب مع إيران وتعذر وصوله أصلاً إلى البصرة، فبقي في الخارج.

هذه أمثلة قليلة وبسيطة توضح الفرق الجوهري في السلوك والاهتمام بالدولة والشعب في العهدين .. عهد الديكتاتورية والجلاد وعهد الحكومة الديمقراطية المنتخبة من الشعب. ولكن شعب العراق المغلوب على أمره الواقع تحت الاحتلال الأمريكي المعلن والاحتلال الإيراني غير المعلن، يعرف الكثير الكثير عن هذه الحقائق، إذ لم يمض على العدوان والمؤامرة سوى خمس سنوات وبضعة أسابيع.

ويذكر الناس الذين عاشوا في ظل نظام صدام حسين وحزب البعث كيف كانوا يعيشون وكيف كان صدام يتعامل معهم، وكيف كان يتصرف وزراؤه. ويرون الآن فرسان العهد الجديد وكيف يعيشون وماذا يفعلون أو لا يفعلون. والأهم من ذلك أيضا كم يملكون في بنوك أمريكا وأوروبا وإيران !!

إن بضع صفحات عن صدام حسين لا تكفي لإعطاء صورة شاملة عن هذا القائد المتميز. فلقد استمر عهد صدام حسين نائباً للرئيس وقائداً فعلياً للمسيرة ومن ثم رئيساً أكثر من ثلاثة عقود، وهي أطول فترة مرت على قائد للعراق في القرن العشرين. لذلك تقتضي الموضوعية والأمانة الكثير .. الكثير من الكتابات وفي حقول عديدة، دوره كقائد متميز لحزب البعث العربي الاشتراكي ودوره كنائب لرئيس مجلس قيادة الثورة، يتولى بالإضافة إلى دوره القيادي الشامل خلال فترة السبعينيات التركيز على الثقافة والإعلام، وعلى التخطيط والتنمية من خلال قيادته لمجلس التخطيط ودوره القيادي الحاسم في تأميم النفط، وقبلها في إعلان بيان آذار وإقامة الحكم الذاتي في المحافظات التي يشكل الكرد غالبيتها السكانية، ودوره كرئيس للجنة شؤون الشمال لعدة سنوات، وإشرافه المباشر على معالجة تمرد البارزاني بعد

عـام ١٩٧٤، ودوره في اتفاقيـة الجزائر لعـام ١٩٧٥، ودوره في قمة بغـداد الأولى، والتعامل مع موضوع تصرف مصر الإنفرادي في اتفاقية كامب ديفيد، وقضايا عديدة أخرى حزبية أو سياسـية داخلية وخارجية، والمشـاريع العملاقة التي أنجزت بتأثيره وقيادته، وتعامله مع موضوع الجبهة الوطنية والعلاقة مع الشـيوعيين في السبعينيات وغيرهم من الأحزاب والكتل السياسية.

إنها مسـيرة طويلـة حافلة بالأحـداث والأخطـار والأعمال الباهـرة في خدمة الشعب وتطوير العراق وبناء قواته المسـلحة. هذا فضلا عن دوره القيادي كقائد عام للقوات المسـلحة في معركة القادسـية المجيدة التي تعتبر أكبر وأهـم ملحمة عراقية وعربيـة فـي العصـر الحديث، عندمـا خاض بلـد عربي حرباً ضروسـاً دامـت ثماني سـنوات مع دولة تكبر العـراق ثلاث مرات بالمسـاحة وأكثر من الضعف بالسـكان. وانتهت بإنهاء العـدوان الإيراني على العـراق وأطماع نظام خميني فـي الهيمنة على العراق وفق ما ذكرناه سابقاً.

لقـد كان صـدام حسـين طيلـة هـذه السـنوات الطويلـة والأحـداث الجليلـة والأخطـار الكبيـرة، كان دائماً الرجـل والقائد الصامـد .. اليقظ الذهـن .. المبادر .. الحاسـم .. المفكر .. والمتأمل والقائد الذي يسـتمع إلى الجميع ويلخص المواقف في نهاية المناقشات الطويلة.

إن هذه المسيرة التي كانت حافلة ومجيدة ومتميزة حقاً تحتاج الكثير .. الكثير مـن المعالجات. ولا بد أن يسـهم فيها كثيرون من رفاق صدام حسـين الذين عاشـوا معه تلك الأحداث، وشاركوه في بعضها أو أغلبها.

وليسـت هـذه المحاولة مـن رفيق متواضـع من رفاقـه إلا مقدمة لسـفر طويل وحافزاً لهؤلاء الرفاق أن يتحدثوا وأن يكتبوا .

وأخيراً رحل صدام حسـين، وقد اغتيل غدراً على أيـدي المحتلين الأمريكان والعملاء من العراقيين. وسـيقول التاريخ إنهم كانوا أقزاماً في مواجهة عملاق. رحم الله صدام حسين. لقد كان في حياته قائداً عظيماً، وفي اغتياله رجلاً شجاعاً لا يهاب الموت حتى صار صدام حسين سيد شهداء العصر.

وإذا كان الأقزام من المحتلين الأمريكان وعملائهم العراقيين قد أسقطوا تماثيل صدام حسين ونزعوا صوره وحذفوا اسمه من كثير من المعالم، فإن التاريخ سيعيد اسم صدام .. وذكراه .. ومنجزاته، شامخة لا تطالها أيدي الأقزام الجبناء.

صدّام حسين ...

السطر الأول من كتاب الأسطورة

بقلم علي الصراف[1]

ما كان لمحاكمة رجل، تضاربت فيه التصورات والأقاويل، إلا أن تكون شاهداً تاريخياً آخر على تلك القسمة الأبدية بين الحق والباطل.

كان هناك الكثير من وقائع حياة هذا الرجل التي يمكنها أن تدل على معدنه و«طينته» وتكشف عن جذره وجذوته، إلا أن صدام حسين لم يكن واضحاً وجلياً، في تلك الطينة والجذوة، بقدر ما كان واضحا في سجنه وجلياً في محاكمته.

هناك، فقط، ظهرت حقيقة الرجل عارية كما جبلها الله في روحه .

هناك، فقط، ترك الرئيس هيبة منصبه ليكسب هيبة البطل الأسطوري الذي ما بعده بطل .

وهناك ظهر «الدكتاتور» على حقيقته !

ولقد كان دكتاتوراً عليهم بشموخه وأنفته وكبره على السلاسل والأقفاص والقيود. يدخل عالي القامة، ويخرج أعلى قامة مما دخل. رجل يقول للموت: ها أنا ذا، فتعال، لو تجرؤ أن تأخذني .

---

(١) الأستاذ علي الصراف كاتب سياسي عراقي تقدمي معروف، كان معارضاً بارزاً للرئيس الشهيد صدام حسين لعدة عقود، لكنه بعد الاحتلال، وقف علناً ليقول بشجاعة وشرف وانحياز مطلق للوطن وللشعب وللضمير، إن كل مواقفه ضد صدام حسين وكل معارضته له وعمله السياسي ضد نظام الحكم الوطني الذي قاده، كان خطأ كبيراً. وعبّر عن ذلك تعبيراً واضحاً وجميلاً جريئاً في عدة مقالات مهمة، ومنها هذه المقالة.

ولم يأخذه موت.

كان الأمر مجرد خدعة صورية، لا أكثر.

نعم، وقف أمام حبل المشنقة، ونطق بالشهادتين.

ونعم، رأيناه يتقدم مكشوف الرأس، مفتوح العينين، ليرتدي ربطة عنق، خشنة قليلاً.

ونعم، رأينا الجسد ينزل، ثم الجثمان ممدداً. ولكن ابتسامته الأخيرة قالت كل شيء.

كان يعرف أنها السطر الأخير في كتاب المناضل والرفيق والرئيس والقائد والأب، ولكنها أيضاً، السطر الأول في كتاب الأسطورة.

ومثلما خدعنا بـ «دكتاتوريّته»، إذ لم يكن على وجه الحق إلا شديد بأس، فقد خدعنا في «موته».

فهو لم يمت. خطا خطوة .. وابتسم، وانتقل إلى رحاب أخرى، مثلما يصعد المرء سلّماً. وكأن المسافة بين الحياة والأبديّة ليست أكثر من تلك العتبة.

نزل الجسد، ولكن الموت لم يأخذه. فابتداءً من تلك اللحظة، ولد صدام الآخر؛ صدام الخالد؛ صدام الذي لا يمكن لموت أن يأخذه منا أبداً.

بكينا قليلاً، وغمرنا الحزن قليلاً، ولكننا ابتسمنا معاً... لحظة اكتشفنا خدعة البطل. واحتضناه بقلوبنا كما لم تحتضن روح مناضل من قبل. فأودعنا جزءاً منه أمانة بين يدي بارئه، وعدنا، بذلك الجزء الأعز، لنواصل المقاومة.

واكتشفنا أنه، كان يبتسم من ناحية أخرى أيضاً، إبتسامة تلك السلطة الممتلئة. فهو بكل ما كان يبدو من جبروته البابلي، فقد كان إنساناً حليماً ذا بساطة وطيبة يمكن لدموعه أن تسيل على خديه لأي مصاب أو فقدان جلل. وكان يحزن ويضحك ويغضب كما يفعل كل البشر. وكان هش القلب أيضاً، إنما بهيبة الرجل وبطول قامة البطل، اللتين لم يضحِّ بهما أبداً.

كان يريد من «شدة بأسه» أن تؤدي غرضاً وأن توصل إلى هدف. فانقسم الخلق فيه، بين من يرى «الدكتاتوريّة» المزعومة بتفاصيل تكاد تكون بلا معنى، وبين من يرى الغرض والهدف بتفاصيل مذهلة في كل جامعة ومؤسسة ومعمل.

وظل القمر واحداً. فمن أي نصف نظرت إليه، فإنه النصف الآخر أيضاً.

هكذا، ربما ليجعلك حائراً. وهكذا ليظل شاغلاً. وهكذا ليدفع بالعراق قدماً، فقدماً، فقدماً، حتى أغاظ ضده كل الذين في قلوبهم سويداء حقد وأطماع وكراهية عنصرية و... سفل. فالتأموا عليه، وتحالفوا على قتله وعلى تدمير العراق في آن معاً.

بتلك السويداء فقط، حكموا ليدمروا ويقتلوا ويعذبوا ويغتصبوا. وبتلك السويداء حوّلوا العراق إلى مسلخ وبركة دم. ولم يكن لديهم أيّ شيء آخر. كأنهم جاءوا من كوكب مظلم طراً.

وكان لا بد أن يقتل صدام حسين، لأنهم كانوا يريدون أن يقتلوا به طموح العراق إلى القوة والرخاء والمجد.

وكنا نرى ذلك السومري يبني ويقاتل ليلاحق عشبة الخلود. ولكن، مثلما خسرها جلجامش الأول لتقع بين أنياب ثعبان تمكن من التهامها قبل أن يصل المحارب إليها بوقت قصير، فقد خسرها جلجامش الثاني لتقع بين أنياب ثعبان أيضاً.

ولم يكن البطل ساطعاً كما كان ساطعاً في سجنه وفي محاكمته.

في البدء أرادوا أن يهينوه، فأهانهم.

وأرادوا أن يحاكموا «دكتاتوريّته»، فحاكم انحطاطهم ورخصهم وعمالتهم.

وأرادوا أن يروه ضعيفاً، فكشف لهم عن بسالة محارب لا يرف له، في الحق، جفن.

وكان، بفصاحته ووطنيته وثاقب نظرته، هو محامينا الأول، وكل فريق دفاعه كان «فريقاً مساعداً».

صدام في سجنه كان عارياً أيضاً. الإنسان تكشفه وتعريه المحن. وقد كشفه السجن وعراه كما لم يفعل مع أي زعيم آخر من قبل. فكان أجمل بشخصيته، وأكثر إقداماً بشجاعته، وأنبل بكرمه أمام محامين كانوا يستمدّون من «موكلهم» الثبات

والقوة، لا العكس. يواسيهم لا أن يواسوه، ويشد من أزرهم لا أن يشدوا من أزره، ويبقيهم على جادة الحق، لا أن يبحثوا عنها معه.

وقلائل هم الأحرار الذين منحهم القدر شرف الوقوف تجاه الغزاة تلك الوقفة الجليلة. وقلائل هم الذين يجعل التاريخ منهم علماً ومنعطفاً.

وجرياً على بطولته، فقد صار محاموه أبطالاً، يواجهون الموت مثله، ببسالة محارب، لا بمهنية محام، إذ كيف كان يمكن لهذه المهنية أن تواجه ميليشيات ترتدي بزة القضاء في الداخل، وغوغاء ترتدي بزة المليشيات في الخارج؟

في الداخل، القاضي ليس قاضياً محايداً بل طرفاً يجادل ويصيح ويتوتر ويغضب ويطرد كما يفعل الغوغاء، فيما لا يتورع «مغاوير الداخلية» وحراس الاحتلال عن ضرب المتهمين وتعذيبهم أمام المحكمة وفي الممرات وفي السجن.

وفي الخارج، تكمل الميليشيات المهمة بترويع المحامين وملاحقتهم وتهديدهم، حتى قتلت خمسة منهم، بعد التنكيل والتعذيب، بل علقت جثة أحدهم على عمود الكهرباء لتكون شاهداً، ليس على الوحشية وحدها، بل دليلاً، لا تخطئه البصيرة، على الإفلاس الأخلاقي التام للاحتلال وحكومته وميليشياته و... «قضائه».

في ظروف كهذه، لم يكن محامو «فريق الدفاع» محامين إلا خدعة أيضاً. فقد كانوا رجالاً (وامرأة) لا تغني مهنيتهم عن استعداد كل منهم ليكون شهيداً يذهب إلى موته بقدميه. فهم كانوا هناك يخوضون معركة ليس في إطار القانون، سعياً وراء إحقاق الحق وإظهار العدل، بل في إطار اللاقانون، بين أدغال قانون الغابة، بأكثر معانيه بدائية وتخلفاً وتخلياً عن القيم الإنسانية، سعياً للبحث عن سبل للنجاة من حفرة ثعابين وعقارب، يشرف على حوافها ذئاب وضباع ينتظر كل منهم الفوز بحصته من الدم.

لقد أريد لتلك المحكمة أن تكون «محكمة القرن»، ... فكانت. إنما كمهزلة مدوية ستظل تتردّد أصداؤها على امتداد القرن كله كنموذج لأسوأ ما عرفته البشرية من إهانة لقيم الحق والعدالة والقانون. وستظل عاراً يلاحق، بالخزي والسخرية، كل الذين تورطوا بتدبيرها.

كان الموت حاضراً في كل لحظة، وفي كل زاوية ومنعطف من زوايا تلك «القضية».

ولم يكن هناك سوى هدف بيّن واحد لكل تلك المهزلة، هو قتل «المتهمين» تحت ستار «قانون» تم تفصيله خصيصاً ليكون دغلاً من أدغال غابة سكاكين تتهاوى وتترنح لتنهش أجساد ضحاياها غدراً وغيلة وعبثاً. وكم كان مما «يمرد» القلب، في بيئة كهذه، أن يبحث المحامون عن استراتيجيات وخطط للدفاع. فالسكاكين كانت هي سيد المسألة، ليست ضد رئيس فقد سلطته بقوة وحشية، وتحت غطاء ظالم، وبناء على أكاذيب وذرائع باطلة، وليست ضد محامين وجدوا أنفسهم ضحايا للتهديد والقتل والتعليق على أعمدة الكهرباء، بل ضد شعب برمته صار ينحر أبرياؤه، نساء وأطفالاً وشيوخاً، نحر الخراف على مرأى العالم كله.

ولكننا بتلك السكاكين وبغوغائها، نعرف اليوم، كم أننا كنا على حق، وكم أن شهيدنا لم يكن «دكتاتوراً» كافياً، إذا جازت عليه هذه الصفة أصلاً، وكم أن الوجه الآخر، المضيء، من قمر البناء والازدهار والقوة كان هو الوجه الصحيح للعراق في ظله.

وسيكون أولئك الغوغاء هم أنفسهم شهودنا في محكمة المستقبل. فجرائمهم تكفي بنفسها لكي تقف أمام التاريخ لتقول من أي عالم سفلي جاؤوا، وإلى أي تاريخ أسود ينتسبون، ومن أي عالم، سابق على القانون، استمدوا قانونهم ودولتهم.

فبرغم أنهم قتلوا أسيراً وشبعوا في جثمانه حقداً، إلا أنهم ظلوا يقتلون ويدمّرون وينهبون ويغتصبون حتى لكأنهم كانوا يرون في كل عراقي وعراقية ضحية مبررة لحقدهم. والحقيقة، هي أن لا أخلاقيات العالم السفلي، القادمة من كوكب الظلام الكلي للنفس البدائية، نفس ما قبل نشوء القيم والمعايير الإنسانية، كانت هي وحدها الجوهر الذي يتحكم بمهاوي سكاكينهم، ليس على أجساد الأبرياء بل وعلى جسد العراق نفسه أيضاً، وعلى مستقبله وعلى حق أبنائه في الأمن والرخاء والحرية أيضاً وأيضاً.

في هذا «السياق» الدامي، كان على جمع من الأبطال، قرروا المغامرة بحياتهم، أن يتقدموا كمحامين أحرار، تعلموا في أفضل الجامعات، واكتسبوا الخبرة في أفضل

ساحات العدالة، للدفاع عن شهيد يعرف أنه شهيد سلفاً، وعن رفاق آخرين له كانوا يستظلون بشجاعته، فتنهض شجاعتهم مثلما تنهض النخوة.

ومثل تلك النخوة، كان عمل «هيئة الدفاع» نخوة شرف أكثر منها نخوة قانون. فالقانون لم يكن هو المسألة، بالنسبة لتلك المحكمة، أصلاً.

وإذ لا يمكن النظر إلى تلك المحكمة بمعزل عن بيئة القتل المباح الذي يعم العراق، فإنها كانت شاهداً على موت الضمير نفسه، ودليلاً على انهيار كل المعايير والقيم الإنسانية أيضاً. ومن موت الضمير وانهيار القيم، صارت «حقول القتل» العراقية أوسع سفكاً للدماء من كل «حقول القتل» التي عرفتها الوحشيات السادية السابقة في تاريخ البشرية ... من هتلر إلى بول بوت، إلى بينوشيت.

ولكن، فحيثما كان يبدو أن القضية التي يدافع عنها أولئك المحامون «خاسرة سلفاً»، إلا أنها لم تكن خاسرة أبداً.

هناك، في سجنه، كشفت رجولة الشهيد عن بطل أشد من الفولاذ تماسكاً وصلابة. وكان الإنسان فيه روحاً للخير والتسامح والوطنية الفذة. فلم يسأل عن انتقام، ولا طالب بثأر، وتنزه عن كل سلطة، وظل «العراق العظيم» هو الخيمة التي تلقي بكلكلها على شغاف قلبه، وتحرك نهضته وحريته دوافع ضميره.

وعندما حانت ساعة الرحيل، خطا خطوته واثقاً ومبتسماً.

فلئن كنا خسرناه زعيماً وقائداً، فقد عدنا لنكسبه بطلاً أسطورياً ورمزاً.

ومثله فعل رفاقه الآخرون. ومثلهم سيفعل كل رفاق المسيرة إلى الحرية. فـ «العراق العظيم»، عراق الخير والتسامح والحرية والرخاء هو عراقهم. إنه الشجرة الخالدة التي، إذا خسرت جلجامشاً، فجلجامشاً آخر تلد.

لا بدّ من كلمة

صدّام حسين
من العوجة.. إلى القصر الرئاسي

ما من رجل ملأ الدنيا وشغل الناس، مثل صدام حسين في الهزيع الأخير للقرن العشرين ومفتتح الألفية الثالثة، ولم تكن حياته إلا ذلك المسار المشتعل من التحديات والأهوال والانتصارات والمأساة والفجيعة الخالدة، وتلك هي معالم دروب عظماء التاريخ.

وثمة قبس يسطع في سيرة صدام حسين يعطي حياته هذه الهالة الكبيرة من التوقف والاهتمام، ذلك بأنه خرج من من الفجوات المنسية وتعرجات الحياة الفقيرة ومرارة العيش وغلظته وسار في رحلة قاسية نحو سارية المجد الذي بلغه بروحه ليبقي علامة في وجه الزمان.

وشركة المنبر للطباعة المحدودة في السودان وهي تنشر هذا الكتاب القيّم وهو أهم وأخطر وثيقة سياسية في عالمنا المعاصر، تشعر بالفخر الكامل أن تكون شهادة الرئيس الشهيد صدام حسين هي باكورة إصداراتها وما من قيمة أكبر من هذا.. ولا بدّ هنا من وقوف عند هذا الرجل صدام حسين ....

في كوخ صغير، ورياح صيفية تعصف بقرية العوجة، إحدى نواحي تكريت حوالى ١٧٠ كليومتراً إلى الشمال الغربي من بغداد، ولد في ٢٨/ ٤/ ١٩٣٧م في منزل يتكون من غرفة واحدة، طفل صغير يتيم، لم يشهد والده حسين المجيد ولادته، فقد توفي قبل ستة أشهر، وأطلقت أمه (صبحة طلفاح) عليه اسم (صدام).

العائلة الصغيرة كانت تمتهن الرعي والزراعة وتعيش فقراً مدقعاً، وكان العراق في تلك الفترة يموج بحركة سياسية نشطة واضطراب في مسار النظام الملكي

الحاكم، كأنه يستلهم تاريخه الطويل، وتاريخ العراق مذ وجد، هو تلاطم فوّار لموج الحضارات العريقة ومهد البطولات التاريخية والملاحم الوطنية ومنشأ الحركات السياسية التي تزاحمت في مجرى التاريخ الإسلامي العريض منذ الخلافة الراشدة، والعهد الأموي والعباسي وحتى التاريخ الحديث..

في هذه الاجواء والحرب العالمية الثانية تقرع طبولها، ولد صدام حسين، يتيماً وفقيراً ومعدماً ليس له من الدنيا إلا الصبر الجميل والعيش العسير والآمال المطفأة، تزوجت والدته من زوجها الثاني إبراهيم حسن، وأنجبت إخوته الآخرين (برزان ووطبان وسبعاوي)، وتربى صدام في سنواته الأولى على يد والدته وزوجها الذي كان يمتهن حرفة الرعي في تلك الضواحي من تكريت وعاش الطفل ما بين رعي الأغنام والتجوال في البوادي والفلوات الواسعة وبيع البطيخ في محطة القطار الذي يتوقف في تكريت في طريقه للموصل، لكي يعول أسرته وإخوته الصغار.

شبّ صدام وفي نفسه وروحه بذرة تميز وقيادة، ظهرت معالمها وملامحها الجادة في طفولته الباكرة وبرزت ميزاته القيادية وهو تلميذ يدرس الابتدائية في مدينة تكريت، حيث بانت مثابرته ودأبه الجاد، يعكس فيه حرصه وقوة البيئة الرعوية والخلوية التي عاشها وخالطت دمه وجرت في طبائعه.

برزت بصورة أوضح هذه الميزات والملامح القيادية خلال المرحلة المتوسطة، عندما كانت تيارات فكرية وسياسية تدوي بعنف على طول واتساع الوطن العربي، وانتقل صدام للإقامة مع خاله (خير الله طلفاح) في بغداد لإكمال دراسته الثانوية بالكرخ في العاصمة العراقية، وكانت هذه الفترة هي الأهم في تكوينه السياسي والفكري وتبلور كامل رؤاه الوطنية فقد تأثر صدام بالأفكار القومية ونضالات الحركة الوطنية العراقية المناهضة للاستعمار البريطاني الذي كان يجثم على صدر العراق، وكان منزل خاله خير الله الذي كان مدرّساً، يعجّ بالعديد من نشطاء العمل القومي ورجالات الحركة الوطنية العراقية وبالكتب والمطبوعات التي تحمل الفكر القومي العربي والتاريخ والفلسفة والأدب، وكانت الأفكار السياسية والشعور القومي العربي قد تنامى في فترة الخمسينيات دافقاً قناديلاً من التنوير والاستبصار لدى المثقفين والشباب العرب.

بعد إنهاء دراسته الثانوية، حاول صدام حسين الالتحاق بأكاديمية بغداد العسكرية، لكن لأسباب خاصة وأسباب أخرى تتعلق بالأوضاع السياسية في تلك الفترة حالت دون التحاقه بالأكاديمية العسكرية خاصة انتمائه لحزب البعث العربي الاشتراكي عام ١٩٥٦م وتعرضه لفترات اعتقال متقطعة، استمرت إحداها أكثر من ستة أشهر ما بين عام ١٩٥٨ - ١٩٥٩م، وكان صدام من القيادات الشابة والناشئة في الحزب واكتسب خلال فترة وجيزة خبرة تنظيمية وسياسية جعلته من أميز كوادر البعثيين صغار السن.

وقع انقلاب عبد الكريم قاسم في العراق عام ١٩٥٨م كحدث هام في العراق وتغيير أساسي في تركيبة الحكم أنهى الحكم الملكي بقيادة الملك فيصل الثاني، وكان الضباط الذين قادوا الانقلاب ضد الملك من غير البعثيين العراقيين، وكان حزب البعث مناوئاً للسلطة الجديدة التي لم تفلح في توفير الاستقرار ولم تكبح جماح التوترات والاضطراب السياسي ولم تستقر الأوضاع الداخلية، وقرر حزب البعث إحداث التغيير بكوادره وضباطه، وبسبب إصدار قرارات بالحكم بإعدام عدد من الضباط ومن بينهم ضباط بعثيين، جرت محاولة لاغتيال عبد الكريم قاسم نفذتها كوادر حزب البعث وبينهم صدام حسين، وفشلت تلك المحاولة بعد إطلاق النار على موكب الرئيس عبد الكريم قاسم، وأصيب صدام في تلك الحادثة بطلق ناري في ساقه، واستطاع رغم الإصابة عبور نهر دجلة سابحاً وفر إلى بلدته في تكريت ولاحقته الأجهزة الامنية التابعة للرئيس عبد الكريم قاسم ولم تعثر عليه، وبدأ نجم صدام يلمع ويسطع على ساحة حزب البعث وفي الحياة السياسية العراقية.

وكان في تلك الفترة شديد التأثر بأفكار ونتاجات الفكر القومي خاصة كتابات ميشيل عفلق الذي توثقت صلته به منذ تلك الفترة مع اطلالة السنوات الستين من القرن الماضي.

ونتيجة للملاحقات وأعمال البحث الجارية عن صدام وصدور مذكرات توقيف بشأنه كونه أصبح الشغل الشاغل للأجهزة الأمنية آنذاك، شق على الرجل الاختفاء والترحال المستمر وأعمال التنقل الدائمة من مكان لآخر، فقرر الهجرة ومغادرة تكريت والعراق بأكمله.

في أواخر عام ١٩٥٩م في بداية ديسمبر من العام نفسه بدأ صدام رحلة مضنية وطويلة ومحفوفة بالمخاطر عبر الفيافي والصحراء والوهاد وسيراً على الأقدام وأجزاء منها على الدواب، حتى وصل الحدود السورية العراقية، وكانت سوريا في تلك الأثناء أحد المراجل الفوّارة بالقوميين والوحدة العربية.

مكث صدام حسين في دمشق ما يقارب الثلاثة أشهر، في بداية هجرته الأولى، نضجت فيها رؤاه السياسية، خالط العديد من رموز الفكر القومي، وكان على صلة بالحزب داخل العراق وعلى اتصال دائم بما يجري هناك.

كانت القاهرة هي محطته الثانية، وصلها في ٢١ فبراير ١٩٦٠م، وكان هدفه هو مواصلة دراسته وكسبه المعرفي، فالتحق بمدرسة قصر النيل في القاهرة للحصول على الثانوية التوجيهية التي تمهد له دراسة القانون في الجامعة، وكان يقيم في سكن الطلاب من رفاقه البعثيين في حي الدقي بالقاهرة وتدرج في العمل التنظيمي في صفوف الطلاب وقيادتهم الحزبية وارتقى إلى أن اصبح المسؤول الأول عن طلاب الحزب في جمهورية مصر العربية، وعرف وسط الطلاب ورفاقه بأنه لا يميل لحياة السهر واللهو يقضي وقته ما بين القراءة ولعب الشطرنج.

في تلك الأثناء صدر ضده حكم غيابي من المحكمة العسكرية العليا في بغداد بإعدامه وعلى مجموعة من رفاقه الذين فروا بدورهم خارج العراق بتهمة محاولة اغتيال عبد الكريم قاسم. وكانت المحكمة التي أصدرت حكمها ضد صدام في ديسمبر ١٩٦٠م قد أشعلت صفحة جديدة من المواجهة والصدام بين حزب البعث والسلطة الحاكمة.

وقطع صدام حسين دراسته الجامعية، وكان قد التحق بكلية الحقوق بجامعة القاهرة عام ١٩٦١م، ولم يكمل دراسته، وعاد للعراق بناء على توجيهات الحزب الذي كان يعد لانقلاب ضد عبد الكريم قاسم، واستطاع الحزب أن يطيح بنظام الحكم في ١٤ تموز / يوليو ١٩٦٣م، وتم تنصيب عبد السلام عارف رئيساً للجمهورية.

في العام ذاته تزوج صدام من ابنة خاله ساجدة خير الله طلفاح، وتم تعيينه

مشرفاً على التنظيم العسكري لحزب البعث، في أعقاب الانقلاب ضد البعثيين الذي قام به عبد السلام عارف في ١٨/ ١١/ ١٩٦٣م، بعد خلافاته العميقة مع الحزب، وكان من بين المعتقلين من قيادات الحزب صدام حسين، لكنه استطاع الهرب من السجن ومن المعتقل، وكعادته كان ملاحقاً ومطارداً في مناطق العراق المختلفة، وهي تجربة كشفت قدراته التنظيمية ودقة تخطيطه وكان هو المدبر الأول لعمليات التعمية والتمويه والاختفاء لقيادات الحزب وكوادره، وتوثقت صلته في هذه الفترة مع رئيس الوزراء في عهد حكم الحزب القصير مع عبد السلام، أحمد حسن البكر وهو ذا صلة قربى بصدام.

واستطاع صدام حسين في هذه الفترة، تأسيس تنظيم عسكري قوي وفعال، استفاد فيه من تجاربه وقدراته وكان ينسق كافة أعمال الحزب وتحركاته السرية وتأمين كوادره وقياداته العسكرية والدوائر التابعة للحزب داخل صفوف الجيش وينسق عمل الخلايا الحزبية والعسكرية.

في تزاحم الأحداث، غادر صدام العراق إلى سوريا للالتقاء بقيادة الحزب في ١٩٦٣م، والتقى بميشيل عفلق مؤسس الحزب وشارك في نقاشات طويلة وتباحث مع قيادة الحزب حول التطورات والاضطرابات الجارية في العراق وانشقاقات الحزب فرع العراق وصراع الأجنحة المختلفة، واكتسب صدام ثقة عفلق في هذه الرحلة وتوثقت علاقتهما وحقق الكثير للبعثيين العراقيين ونال إعجاب القيادة القومية لحزب البعث التي اختارته عضواً فيها، وتوثقت الآصرة الحزبية بينه وميشيل عفلق ورفاقه في سوريا.

وكان من أبرز سمات هذه العلاقة أن قيادة الحزب في سوريا كانت حريصة على بقاء صدام في دمشق ونصحته بذلك، خوفاً عليه بعد اكتشاف عبد السلام عارف أن أفراد الحزب وكوادره وتنظيمه العسكري، يدبرون محاولة للانقلاب عليه، وكانت نصيحة عفلق والقيادة القومية أن عارف سيبطش بصدام إذا بقي في العراق، ورفض صدام نصيحة الحزب وعاد لبغداد.

وتمكنت الأجهزة الأمنية لنظام عبد السلام عارف بعد تحقيقات ومطاردات،

من إلقاء القبض على صدام في ١٤ أكتوبر (تشرين الأول عام ١٩٦٤م)، وتم اقتياده للسجن في المعتقل الحربي، وأودع زنزانة انفرادية وواجه فيها كل صنوف العسف والتعذيب.

وقررت القيادة القومية لحزب البعث في سوريا والعراق من خلال متابعاتها لأخباره في السجن وصموده في وجه التعذيب الوحشي الذي يتعرض له، اختياره وانتخابه أمين سر الحزب وهو لا يزال في السجن حبيساً.

وظهرت براعته وقوة شكيمته وقدراته التنظيمية الرفيعة في تدبيره المحاولة الثانية للهروب من السجن، وبالفعل استطاع في عملية بطولية محكمة ودقيقة الهروب من السجن بمساعدة بعض رفاقه من كوادر الحزب أثناء اقتياده من محبسه لإحدى جلسات المحاكمة العسكرية التي كانت تجري له لمحاكمته، وكان ذلك في ٢٣ يوليو / تموز ١٩٦٦م. وشكل ذلك الهروب صدمة عنيفة وهزة بالغة لنظام حكم الرئيس عبد السلام عارف، وكثفت الأجهزة الأمنية بحثها عنه في كل اتجاه، في ذلك الأوان كان صدام قد أنشأ بعد هروبه من السجن تنظيماً سرياً يتبع للحزب، وهو الجهاز الأمني داخل الحزب الذي عرف باسم (حنين)، وهو يضم بجانب العمل الأمني وحدة مسؤوليتها الفلاحين والتنظيم النسائي بالحزب.

في هذه الأثناء لقي الرئيس عبد السلام عارف مصرعه في حادث تحطم طائرة عمودية، وتولى السلطة بعده شقيقه عبد الرحمن عارف، وبدأ الحزب يخطط للاستيلاء على السلطة وكان لصدام دور بارز في التخطيط والمتابعة والإشراف على تنفيذ خطة الانقلاب على عبد الرحمن عارف ونجحت ثورة تموز في يوليو ١٩٦٨م في الاطاحة بالنظام الحاكم وكان صدام حسين على رأس المجموعة التي اقتحمت القصر الجمهوري معلنة نهاية النظام وبداية عهد جديد في العراق.

وتكوّن مجلس قيادة الثورة برئاسة الفريق أحمد حسن البكر، ولم يعين صدام نائباً له رغم قيامه بتصريف مهام نائب رئيس مجلس قيادة الثورة، حتى تم تعيينه رسمياً في هذا المنصب في ٩ نوفمبر ١٩٦٩م، وكان قد بلغ الثانية والثلاثين من عمره، بجانب مسؤوليته كأمين سر الحزب ومسؤول الأمن الداخلي وخلال

عشر سنوات قضاها في منصب نائب الرئيس استطاع صدام أن إسهم اسهاماً كبيراً في بناء مؤسسات الدولة وهياكلها، ابتداءً بالجيش العراقي والأجهزة الأمنية وكافة مؤسسات الحكم والخدمة العامة، وبدأ في الإشراف والتنفيذ للخطط التنموية الشاملة في العراق لتغيير وجه الحياة والاستفادة من الموارد والإمكانيات التي يذخر بها العراق.

وبنى خلال هذه الفترة علاقات جيدة في العالمين العربي والاسلامي، وامتدت علاقاته مع دول العالم المختلفة ومن أهم ما قام به صدام وهو يتولى منصب نائب الرئيس تنفيذه للعديد من المشروعات الاستراتيجية الكبرى، خاصة وقوفه وراء قرار تأميم صناعة النفط العراقية عام ١٩٧٢م، وبدء مشروع التعليم الضخم على مستوى الدولة لمحو الأمية حيث فرض عقوبات تصل إلى السجن ثلاث سنوات لمن يتخلّف عن فصول محو الأمية لتعلم القراءة والكتابة، وكان من أكبر ثمار هذا المشروع تعلم مئات الألوف من العراقيين نساء ورجال وأطفالاً القراءة والكتابة.

ووقّع صدّام في ٦ مارس ١٩٧٥م في الجزائر وبعد وساطة ناجحة من الرئيس الجزائري هواري بو مدين، اتفاقاً لترسيم الحدود مع إيران وتم اقتسام شط العرب مع نظام الشاه محمد رضا بهلوي، مقابل أن تكف إيران عن التدخل في الشؤون الداخلية العراقية وزعزعة استقراره وأمنه، ومنها دعمها للتمرد الكردي في شمال العراق.

وزار فرنسا واتفق معها على بناء المشروع التنموي الاستراتيجي العملاق للطاقة النووية السلمية في السبعينات.

وقاد وفد الحكومة العراقية للمفاوضات مع قادة التمرد الكردي في شمال العراق بعد مفاوضات ماراثونية. كان هو المهندس الحقيقي لاتفاقية الحكم الذاتي الذي منح للأقلية الكردية في ١١ مارس ١٩٧٤ الذي لا نظير له في المنطقة التي يتواجد فيها الأكراد وهى إيران وتركيا وسوريا.

وفي ١٦يوليو / حزيران عام ١٩٧٩م، قطعت وسائل الإعلام والإذاعة والتلفزيون في العراق إرسالها، لتعلن بياناً هاماً أعلن فيه رئيس الجمهورية أحمد

حسن البكر استقالته من منصبه، وكان التبرير للاستقالة، تقدم سن الرئيس البكر وتدهور حالته الصحية، وكان نفوذ صدام قوياً، مما دفع للاعتقاد بأن صدام كان وراء استقالة البكر ليفتح الطريق لنفسه لتولي رئاسة الدولة.

وتولى صدام حسين الحكم في العراق وانتخب رئيساً للجمهورية وأميناً عاماً للحزب وقائداً لمجلس قيادة الثورة، وبدأ أولى خطواته في رئاسة الجمهورية بحملات واسعة لإصلاح الحزب والدولة وقيادة عملية الإصلاح والتطهير.. وبدأت صفحة جديدة من تاريخ العراق... وهو ما تكشفه صفحات ومواقع أخرى في هذا الكتاب.

الفصل الأول

البداية

أطلب منكم أن لا تبتئسوا إذا صدر الحكم،
وأن لا تكون أعصابكم مشدودة بانتظار صدوره،
ولا تفرحوا إذا ما أجلوا صدور الحكم،
فأنتم لم تخسروا القضية،
فقد تموت أجساد ولكن القضية حية لا تموت.

(صدام حسين في المعتقل)

كنت وما زلت مذهولاً بين إعلان العدو أن الهدف الكبير بدأ يقترب، وبين سماع موسيقى صاخبة تصدح في أحد قصور الرئاسة بحضور ما يسمى بمجلس الحكم وبريمر وجوقة قادة جيش الاحتلال الأمريكي .. جو العراق معبأ برائحة البارود والموت واختلاط قذائف المقاومة مع قذائف العدو وناره. هو يوم وأي يوم.. كأن يوم العراق ليس كغيره من الأيام .. يوم طويل واحد لا ينتهي. الشتاء يقترب، والسماء ملبدة بالغيوم مع انحدار الشمس، شمس بغداد نحو المغيب .. كانت عقارب الساعة تتسارع، وساعة الصفر تكاد تدق .. حتى جاء بيان الجيش الأمريكي بأن هدفاً هاماً تم إلقاء القبض عليه .. حالة ترقّب .. لحظات رهيبة مرت تعج بتوتر الأعصاب. ترى أي هدف سيكون بعد فجيعة احتلال بغداد .. انتظار حارق. ثم تأتي الفاجعة الأخرى بأسر الرئيس صدام حسين .. الناس هائمون لا يصدقون، يتساءلون: هل هو الرئيس حقاً أم شبيهه، مع تمنيات في النفس أن يكون هو الشبيه. وتوسل الناس بأصحاب المولدات الكهربائية ليراقبوا شاشات التلفاز. سرى خبر الشبيه في كل محافظات العراق خاصة وقد قيل إن الرئيس شوهد في اليوم الثاني لاعتقاله في مدينة الفلوجة. فانطلقت العيارات النارية في كل مدن العراق وقراه ابتهاجاً بأن الرئيس لم يؤسر. وكنت أحد الذين شاركوا بإطلاق العيارات النارية .. لكنني، في أعماق نفسي، لم أكن مقتنعاً بقصة الشبيه. كريمته رغد تصرح لإحدى الفضائيات بأن الغزاة اصطادوا الأسد وهو مخدر ..

أسئلة كثيرة تجيش في النفس. لماذا أراد الأمريكان إظهار الرئيس بهذه الصورة

المزرية .. ترى هل سيمثل الرئيس أمام محكمة، أي قاض سيجرؤ على محاكمة هذا الزعيم الوطني والقومي .. وتتلاحق الأحداث ..

هيئة الدفاع عن الرئيس

ماذا يعني أن يقع الرئيس صدام حسين في قبضة الأعداء ؟ حسب القانون الدولي والقوانين العراقية والأعراف والأخلاق، فإن صدام حسين هو رئيس جمهورية العراق، والقائد العام للقوات المسلحة العراقية. وقد أعلن الأمريكيون أنفسهم أنه أسير حرب، ويعامل وفق اتفاقيات جنيف الخاصة بأسرى الحرب. لكن صدام حسين لم يقع أسيراً في يد عدو يراعي القوانين والمواثيق والأعراف الدولية، وإنما في قبضة مجموعة سياسية أمريكية متصهينة تحقد عليه بقدر حقد من تمثلهم على العراق، كياناً وتاريخاً وحضارة، ودوراً رائداً في الحضارة الانسانية وخصوصاً في الحضارة العربية الإسلامية، وفي حركة النهوض والصمود العربي بوجه مخططات الهيمنة والتوسع والاحتلال الاستعمارية والصهيونية، وتحمل بقدر مساو أو أكثر، مشاريع لافتراس العراق وخيراته وأقطار الأمة واحداً بعد الآخر.

في اليوم التالي للقبض على الرئيس صدام حسين، أعلن محامو الأردن الأبطال تطوعهم للدفاع عن الرئيس. وفي الأسابيع اللاحقة، أسسوا هيئة تضم بالإضافة إلى الأردنيين، محامياً فرنسياً للدفاع عن الرئيس صدام حسين والأستاذ طارق عزيز، ومحامين عرباً أبطالاً تتقدمهم المحامية الدكتورة عائشة القذافي. تساءلت مراراً: أين محامو العراق؟ فها هم الأمريكان يستفزون مشاعر كل عربي غيور بأسرهم الرئيس وإظهاره بالصورة التي لا تليق بهذا الزعيم الكبير.

في اليوم التالي، توجهت كالعادة إلى محكمة الرمادي، واجتمعت هناك بالزملاء واقترحت عليهم تشكيل هيئة للدفاع عن الرئيس بشكل تطوعي بدءاً بنفسي، وقد وافق البعض وتحفظ آخرون بينما رفض البعض الآخر. وكان من بين الذين تطوعوا آنذاك للدفاع عن الرئيس صدام حسين ثلاث محاميات بينهن واحدة تضررت عائلتها في الماضي، إلا أنها كانت متحمسة للدفاع عن الرئيس. أما الذين تحفظوا، فكانوا يقدرون خطورة الوضع ومخاطر الطريق، وحسبوا أن عهد صدام

حسين لن يعود، ولا فائدة بأن يلقوا بأنفسهم في دوامات يعرفون نهايتها. وكان أغلب هؤلاء من الزملاء المهنيين الذين يسعون للعيش بسلام. أما الذين رفضوا الدفاع عن الرئيس، فقد كان أغلبهم ينتمون إلى تيارات وأحزاب مختلفة.

شعرت عندها بأن علينا واجباً كبيراً نقف حياله وقفة واحدة مع الأخوة الأردنيين والعرب. وكنا نأخذ بعين الاعتبار خطورة الوضع الأمني بالنسبة للمحامين العراقيين.

في هذا الاجتماع، تقرر أن تكون الأسماء سرية، وأن يكون نقيب المحامين في الأنبار رئيساً لهذه الهيئة. لكن النقيب كلفني كمؤسس للهيئة أن أكون رئيساً لها.

في صبيحة اليوم التالي، ذهبت إلى نقابة المحامين العراقيين لأخذ الموافقة على تأسيس الهيئة بشكل رسمي. وتمت الموافقة، وكان المحامي الأستاذ ضياء السعدي، أمين سر النقابة يشد على أيدينا، وهو الساعد الأيمن لكل محامي العراق، عربي أصيل وطني لا علاقة له بالرئيس صدام حسين لا من قريب ولا من بعيد.

كانت الفلوجة هي محطتنا في اليوم الثالث. وقد امتنع نقيب المحامين فيها عن إعطاء أسماء المتطوعين خوفاً عليهم. ولأنه كان حريصاً، فإنه لم يصدق نوايانا، ولعله كان محقاً في ذلك. وبعد التداول في الموضوع، تمت الموافقة على الفكرة، وسلمنا الأسماء لاحقاً بعد أن وثقوا بنا.

محطتنا التالية كانت مدينة حديثة، ثم كل مدن محافظة الأنبار. حتى أصبح عدد المحامين (٩٠) محامياً ومحامية، وأسمينا الهيئة «هيئة الدفاع في الأنبار».

أما المحطة الأكثر أهمية في ما بعد، فهي بغداد، إذ تطوع عشرات المحامين والمحاميات، ووصل العدد بعد ذلك إلى المئات بمن فيهم السني والشيعي والمسيحي والكردي والتركماني. ثم في ما بعد، عقد مؤتمر في نقابة المحامين، وتم بالإجماع انتخاب المحامي خليل الدليمي رئيساً لهيئة الدفاع في العراق، والمحامي الشهيد خميس العبيدي نائباً للرئيس، والدكتور مجيد السعدون ناطقاً رسمياً باسم الهيئة.

في الأيام الأولى من تشكيل الهيئة، كان يؤازرني في بغداد زملائي في الأنبار.

وقد تم عزل جميع المحامين لاحقاً بكتاب موجّه إلى المحكمة من عائلة الرئيس صدام حسين باستثنائي، بناءً على مشورة المستشار القانوني للعائلة لأغراض تنظيمية.

بعد أن انتُخبت رئيساً للهيئة، بدأت المهمة الصعبة، إذ كان علي الذهاب باستمرار إلى نقابة المحامين في بغداد، والمهمة شبه سرية. وعلى الصعيد العائلي، لم يعلم أحد بأنني أصبحت رئيس هيئة الدفاع عن الرئيس صدام حسين ورفاقه، سوى أحد أشقائي الذي تربطني به صلة حميمة. وكانت عائلتي تسألني باستمرار عن سبب ذهابي إلى بغداد تقريباً بشكل يومي، وتركي لمهنتي كمحام، بالإضافة إلى تردي أوضاعنا المادية بسبب اضطراري لترك مهنتي، كنت أجيب أن لدي دورة تدريبية في نقابة المحامين.

أحد أشقائي الذي يكبرني، وكان يسكن بعيداً عن مكاني، كان يسألني بعد أن تسرب الخبر بتوكلي لهذه المهمة، عن حقيقة هذا الخبر، فكنت أنفي نفياً قاطعاً، إذ كان طيب القلب، غير كتوم. فكان سؤاله الآخر: إذن من هو خليل الدليمي هذا؟ فكنت أؤكد له بأنه ذاك المجنون من أهل الدليم المتواجدين في الطارمية. أما شقيقي الآخر الذي يكبرني كذلك، فقد كان يقول لي باستمرار: أنت تنفي دائماً، لكن دعني أقول لك إن مهمتك فاشلة من حيث النتيجة، ثم إن الأمريكان لن يتركوا الرئيس، وأخشى أن يكون الأمريكان عازمين على التخلص منه، لأنهم لو لم يكونوا يريدون هذه النتيجة، لما فعلوا به ما فعلوه. ثم إنني أخشى عليك إذا ما خسرت هذه القضية، فستطالك الألسن وقد تتهم بالتقصير. فكيف تقدم على مهمة كهذه وتحملنا نتائج لا طاقة لنا على تحملها، ثم أنظر إلى أطفالك، تركت عملك وأنت تعيل عائلة كبيرة.

أصوات كثيرة تعالت من هنا وهناك كانت تعارضني بشدة، وأغلبها خوفاً على حياتي وحياة عائلتي، وأخرى تحاول أن تثبط من معنوياتي لاعتقادها بأن لا فائدة من التعرض للخطر والنتيجة معروفة. لكنني كنت قد قررت أن أستمر في مهمتي، فالرئيس صدام حسين هو رئيسنا وقائدنا، ونحن كمحامين عراقيين أولى بالدفاع عنه، فقلت في نفسي توكل على الله.

وبدأت بتكثيف الحماية لي ولعائلتي التي عانت ما عانت من الخوف ومن أيام لا نعرف ما تخبئه لنا. كان علي أن أقطع آلاف الكيلومترات ذهاباً وإياباً إلى عمّان وسط الدبابات والمدرعات الأمريكية. وقامت القوات الأمريكية في إحدى المرات، بدباباتها وعربات الهامفي وعشرات الجنود المارينز، تساندهم مروحيات الأباتشي والبلاك هوك بمهاجمة منزلي في منتصف الليل وترويع أطفالي بتاريخ ١٥/ ٥/ ٢٠٠٥ بعد أن قاموا بتفجير أبواب المنزل وإطلاق القنابل الصوتية المرعبة، وكنت قد بعت منزلي الأول في حي الضباط في الرمادي وسكنت خارج الرمادي في الشمال الغربي منها. وقف أطفالي ووالدتي المسنّة مرعوبين من الأشعة الليزرية لبنادق الغزاة المصوبة نحوهم، بينما كان الجنود يفتشون المنزل باستفزازهم المعهود، وقد سرقوا ما استطاعوا الحصول عليه، ومن ذلك مبلغ ٤٤ ألف دولار أمريكي (هو من ثمن بيعي لمنزلي في الرمادي)، وخمسة ملايين دينار عراقي، والمصوغات الذهبية لعائلتي وسلاحي الشخصي بندقية كلاشنكوف، بالإضافة إلى سرقة بعض الأوراق والوثائق المهمة فضلاً عن تحطيم أثاث منزلي. كل ذلك بادعائهم أنهم يلاحقون أحد الإرهابيين في ساعة متأخرة من الليل. وكنت آنذاك في عمّان مع المحامي الأستاذ رمزي كلارك والمحامي الأستاذ زياد الخصاونة.

بعد تلك المداهمة الشرسة، وسرقة كل ما أملكه لأطفالي، بدأت المهمة تأخذ منحى صعباً. إذ بعد أن شاهد بعض أقربائي الأبواب المحطمة وزجاج النوافذ متناثراً، بدأت معارضتهم تزداد، خاصة وقد نجم عن تلك المداهمة استشهاد أحد أقربائي في المنطقة برصاص القوة المهاجمة، وجرح شخص آخر. وتكررت عملية المداهمة في اليوم التالي رغم نفي الجيش الأمريكي. وقد اعتذروا في ما بعد من عائلتي أثناء غيابي.

أثقل كاهلي بعد تلك المداهمة، ورغم إصرار الكثيرين على معارضتي، إلا أن تشجيع شقيقي القريب مني، وإصراره على عدم التخلي عن تلك المهمة النبيلة، بالإضافة إلى عادات وتقاليد وقيم محافظة الأنبار وكل العراقيين الشرفاء بشكل عام وعشائر الدليم بشكل خاص، هو ما منحني الحافز القوي لأن أستمر. واعتبرت

نفسي منذ تلك اللحظة شهيداً فداءً للعراق والرئيس صدام حسين. وكان السؤال الذي يواجهني دائماً:

لماذا تم اختيارك أنت من دون آلاف المحامين العراقيين لهذه المهمة الخطيرة؟

وأذكر حينما كنت رئيساً للهيئة في العراق، اصطحبني المحامي الأستاذ زياد الخصاونة، وكان رئيساً للهيئة آنذاك في الأردن، لتهنئة المحامي الأستاذ صالح العرموطي بمناسبة فوزه نقيباً للمحامين الأردنيين. تقدم مني آنذاك أحد الزملاء وكان عضواً في نقابة المحامين الأردنيين ومن محبي العراق والرئيس صدام حسين، وسألني السؤال ذاته عن سبب اختياري، وكأن الرجل قد تورط في سؤاله هذا، إذ قام المحامون الأساتذة صالح العرموطي وزياد الخصاونة وزياد النجداوي باستنكار هذا السؤال، مما جعل هذا الرجل يقدم اعتذاره ويقبل رأسي، وهو محق في سؤاله.

كان مقر الهيئة في مدينة الرمادي في محافظة الأنبار، في مكان لا يعلمه إلا القليل من أبنائها، ولا يعلم مكانه أي محام خارج حدود مدينة الرمادي من أعضاء الهيئة، وذلك لأسباب أمنية. وكان هذا المكان محمياً بالنشامى يتقدمهم الفريق الركن محمد ثميل الفهداوي، أحد قادة فصائل المقاومة، والشهيد البطل جاسم عبد الحمد الفراجي، ورجال أشداء سنتحدث عنهم حين تنتفي الضرورات الأمنية. وكان المقر جزءاً من دار تعود لأحد نشامى الدليم الذي تحمل الكثير من عبء الاعتقال، فكثرة ترددنا على المقر، والاتصالات بأجهزة الثريا المرصودة من قبل الأمريكان، واستعمال خط الإنترنت، كلها ساهمت في أن تتم مداهمة مقر الهيئة في أوقات متأخرة من الليل، واعتقال هذا الرجل عدة مرات، وكاد في إحدى المرات أن يقتل. كان هذا الرجل يؤمن حمايتي الشخصية خلال تنقلي بين الأنبار وبغداد والعكس.

مقر الهيئة هذا لعب دوراً بارزاً أثناء محاكمة الرئيس صدام حسين. ففي يوم كنا فيه في أروقة المحكمة، حاولت هيئة المحكمة أن تمنع المحامي الدكتور نجيب النعيمي من الترافع، وأرسلت لنا كتاباً بهذا الخصوص. وعند سؤال المحكمة في إحدى المرافعات عن السبب، أنكر رئيس المحكمة رؤوف حصول ذلك. كنا في

أمس الحاجة لمن يزودنا بهذا الكتاب. وفي فترة الاستراحة، قام فريق الهيئة في الأنبار على الفور بإرسال الكتاب على بريدنا الإلكتروني. وقد أبرزت هذا الكتاب أمام مرأى العالم. كما هيأ لنا أبطال المقر النشامى في الأنبار أغلب المعلومات التي كنا نحتاجها في مرافعاتنا وفي دحض حجج وأكاذيب الشهود، ومنها اتصالات مع عدد من القادة العسكريين والميدانيين وقائد القاعدة الجوية في محافظة صلاح الدين. وقد واصل المقر أعماله بعد استشهاد الرئيس...

لكن دور المكتب الرئيسي في عمّان (وربما لا تجوز المقارنة أصلاً بسبب موقع مكتب الأنبار وسط جحيم المعركة، خاصة وكلا المكتبين يخدم قضية واحدة)، كان أكبر بكثير بسبب إمكاناته المهنية الكبيرة، وموقعه خارج العراق، وقدرة ومهنية كوادره العملاقة من مترجمين وموظفين ، وتوفر كل مستلزمات العمل من إعلام واتصال وكهرباء ووسائط نقل وما إلى ذلك، فضلاً عن إمكانية وسهولة الاتصال بالشخص الوحيد من أفراد عائلة الرئيس الأسير صدام حسين، أي كريمته السيدة رغد التي نابت عن العائلة في التخويل والتصرف مع أعضاء هيئة الدفاع عن والدها الأسير. وقد عمل هذا المقر الصغير عملاً فعالاً بمواجهة أجهزة ضخمة لدولة عظمى تفننت في تزوير الحقائق وبرعت في صناعة الأكاذيب وخرق القوانين الدولية.

في شهر أيار من عام ٢٠٠٤، اتصلنا بالمحامي الأستاذ زياد الخصاونة لتنسيق عمل الهيئتين، العراقية والعربية في الأردن. ثم بدأت بعد ذلك رحلات الصيف والشتاء عن طريق البر حيث كانت الطرق مليئة بالمخاطر بسبب قطع القوات الأمريكية الطريق الرئيسي بين بغداد وعمّان، إذ كان علي أن أقطع الطريق الصحراوي بين الأنبار وعمّان، وكنت أقضي بعض الليالي في الطريق بسبب الأرتال الأمريكية التي كانت تمنع الاقتراب منها، وكدتُ أن أُقتل أكثر من مرة بسبب اقترابنا من هذه الأرتال، أو بسبب قيام أبطال المقاومة بعمليات ضد هؤلاء الغزاة وعلى مقربة منا.

في غضون أيام، نظمنا وكالات جزائية وسلمناها إلى نقابة المحامين العراقيين، ومن ثم إلى المحكمة الجنائية التي سلمتها بدورها إلى القوات الأمريكية ليقوم الرئيس صدام حسين بوضع توقيعه الخاص عليها. وقد تسلمنا هذه الوكالات

موقّعة وأعيدت لنا بالطريقة نفسها لأتسلمها في النهاية من نقابة المحامين العراقيين، حيث قدمتها إلى هيئتي الدفاع في العراق والأردن وإلى عائلة الرئيس. فكانت إحدى عشرة وكالة جزائية لي ولزملائي المحامين في هيئة الدفاع في العراق، وكانت هذه الوكالات هي الأساس الذي انطلق منه جميع المحامين.

المحامي الأول

بعد الانتهاء من هذه الإجراءات، وجدنا في قانون المحكمة ضرورة تسمية محام عراقي أول، يتقدم زملاءه من العراقيين والعرب والأجانب. وهنا تدخلت القيادة الشرعية الموجودة خارج المعتقل، وطلبت ترشيح ثلاثة محامين وفق شروط ومواصفات دقيقة ومحسوبة وأهمها أن يكون شجاعاً ونزيهاً. فرشحنا ثلاثة محامين، ووقع الاختيار علي لأكون المحامي الأول بالإضافة إلى رئاستي للهيئة العراقية. ومما سهل المهمة هو الموقف الوطني والمهني المتميز للأستاذ ضياء السعدي، أمين سر نقابة المحامين آنذاك، وهو نقيب المحامين الشرعي الذي استبعدته حكومة الاحتلال بسبب نزاهته ودوره المشرف وكفاءته. وكان يساعدنا في كل مجالات عملنا، ويذلل ما يواجهنا من صعاب. وكان يقدم لنا المشورة القانونية بوصفه محامياً مخضرماً كبيراً، ويعرفنا بخلفيات المحامين. وقد جنبتنا مشورته قدر المستطاع وضع هذه الأمانة الثقيلة في أعناق من هم ليسوا أهلاً لها.

بالإضافة إلى ما كنا نواجهه في الهيئة في العراق، كان الأخوة المحامون الأردنيون الشرفاء مثل المحامي الأستاذ محمد الرشدان، أول رئيس للهيئة في الأردن، والمحامي الأستاذ زياد الخصاونة وغيرهما، يتعرضون لضغوطات داخلية وخارجية من أطراف كانت تسعى إلى الإساءة للهيئة وتشويه سمعة أعضائها. وكانت هذه الأطراف تعمل لحساب أجندة خارجية، فكانت تحاول تشويه الحقائق وخلق مشاكل بين المحامين لإيجاد جوّ من عدم الثقة. بالإضافة إلى تخريب علاقة المحامين ببعض عوائل الأسرى ، وخلق حالة من الشك بين الجميع. وقد نجحت هذه الأجندة إلى حد ما في تحقيق بعض أهدافها، وبذلك خسرت الهيئة بعض عناصرها بين مبعد ومنسحب، كما خسرنا المحامين الماليزيين بقيادة رئيس الوزراء

الأسبق الدكتور مهاتير محمد، الذين وضعوا إمكاناتهم تحت تصرف الهيئة، بالإضافة إلى تعرضهم لضغوطات كثيرة وتدخلات سافرة لإبعادهم عن مهمتهم النبيلة، وهي الدفاع عن الرئيس صدام حسين.

غير أن الهيئة في العراق واصلت عملها الدؤوب رغم كل الصعوبات والتدخلات ومحاولات التشويه التي كنا نتعرض لها، ناهيك عن استشهاد عدد من المحامين على أيدي الميليشيات الإرهابية في العراق.

لقد حاولت بعض الأحزاب والميليشيات الصفوية وبعض الجهات الحكومية المستفيدة من المحكمة أن تزودنا على هواتفنا المحمولة وبريدنا الإلكتروني بكثير من المعلومات المزورة من خلال عناصرها، متذرعين بصحوة «الضمير» والوطنية تارة أو اضطرارهم تارة أخرى لخدمة القضية لأسباب مادية. وفي المقابل، حصلنا على الكثير من المعلومات التي تسربت من أروقة المحكمة من خلال بعض الوطنيين، أو بسبب «صحوة الضمير» عند البعض، أو بسبب الخلافات التي كانت تحصل بين منتسبي وموظفي هذه المحكمة. وتم التعامل مع هذه المعلومات بحذر شديد.

ونظراً لأن هذه القضية التاريخية بالغة الأهمية، ولتداخل صفوف الأعداء فيها، فلا بد من القول بأن عدة محاولات جرت لإغرائي بمبالغ خيالية لمنعي من الاستمرار في هذه المهمة النبيلة والخطيرة، لكن الله كان حسبي وتعزز الإيمان والثبات في صدري، ووضعت أمام عيني شرف هذه المسؤولية وثقه هذا الرجل الكبيرة، وعشيرتي ومحافظتي والعراق كله، وثقة كل من آزرني، وحكم الأجيال والتاريخ الذي آمل أن ينصفنا .

بعد أن يئس الأعداء من صلابتي، حاولوا نقل تآمرهم إلى الصفحة التالية، فباءت كل جهودهم لاختطافي أو قتلي، بالفشل. وإنني لا أريد الخوض في التفاصيل، وأترك للتاريخ أن يقول كلمته، وهو القول الفصل، فإن قصّرنا بإمكاناتنا المهنية المتواضعة، فإننا نعتذر للأجيال القادمة، وإن كنا قد وفقنا بغض النظر عن النتيجة المحسومة سلفاً، فإننا نحمد الله. وكلمة حق أقولها في زملائي، لقد كانوا مخلصين أيما إخلاص، فأحبهم الرئيس وعبّر عن ارتياحه وسعادته بهم وخاصة

المحامين العرب مثل الدكتورة عائشة القذافي والأستاذ نجيب النعيمي والأستاذ صالح العرموطي والأستاذ أمين الديب وغيرهم بالإضافة إلى الأستاذ رمزي كلارك من زملائنا الأجانب.

وللحقيقة، أقول لم نكن نملك مالاً ولا أي دعم مادي. فقد توقفنا عن العمل وأغلقنا مكاتبنا عندما التزمنا بمهمة الدفاع عن الرئيس صدام حسين ورفاقه.

في الشهر الثامن من عام ٢٠٠٥، وصل وضع الهيئة ومكتبها في الرمادي، حداً لا يمكن معه مواصلة العمل كما ينبغي. وعندما علمت كريمة الرئيس السيدة رغد بوضع هيئتنا هذا، قامت بالوقوف معنا حيث زودتنا بجهازي حاسوب مع ملحقاتهما وخط إنترنت خاص لمقر الهيئة في الأنبار لأغراض الاتصال بالعالم الخارجي بعد أن حوصرت المناطق وشحت المواصلات وكثر حظر التجوال، كذلك شراء مولد كهربائي بقوة 13 KV، وساعدتنا في تجهيز المقر بمستلزمات الطباعة والورق وغيرها. وخصصت عائلة الرئيس راتباً شهرياً قدره ٣٠٠ دولار لكل من الشخصين العاملين في المكتب، وهاتفاً محمولاً للاتصالات الدولية.

ونظراً لحاجتي إلى حراس لتأمين تنقلاتي بين عمّان وبغداد ولحراسة عائلتي في الرمادي، وبسبب انصرافي للهيئة وتوقفي عن العمل، فقد قامت عائلة الرئيس بدفع رواتب ثلاثة حراس وتأمين أجور تنقلاتي فترة خمسة أشهر من ١/ ١٠/ ٢٠٠٥ إلى ١/ ٣/ ٢٠٠٦. ونظراً لظروف عائلة الرئيس المادية، فقد كانت بعض المصاريف الأخرى تغطى من قبل بعض الخيرين العرب مثل تأمين سكن المحامين وإقامتهم في الأردن، وتنقلاتهم من بغداد وإليها.

ومما يجدر ذكره أن الولايات المتحدة والجهات المرتبطة بمشروعها الاستعماري الاحتلالي في العراق، حاولت بشتى الوسائل اختراق هيئة الدفاع عن الرئيس صدام حسين لكسر طوق النجاة الأخير للرئيس ورفاقه، ولإنجاح مسرحية المحاكمات، وذلك من خلال السعي لمعرفة ما يدور في أروقة الهيئة من تخطيط واستعدادات. فقامت بمحاولة اختراق للهيئة من خلال أحد ضباط وكالة المخابرات المركزية الأمريكية وهو من أصل عراقي الذي حاول جاهداً التغلغل إلى دواخل

الهيئة عن طريق الاتصال الإلكتروني. ودفعت الوكالة أشخاصاً آخرين لاختلاق مشاكل داخل الهيئة لإزاحة أبرز عناصرها. كما شجّعت محاولات لتهميش المحامين الأكفّاء الذين كانوا موضع ثقة الرئيس صدام حسين. وقد أفلحت بعض هذه المحاولات في خلق أجواء أدت إلى إزاحة عدد من أبرز رؤساء الهيئة من المحامين العرب الأبطال.

ومما يثير الغرابة والسخرية في آن معاً، أن أحد المستشارين القانونيين للمخابرات المركزية الأمريكية قد غيّر وظيفته من منسق للأمين العام للأمم المتحدة إلى مستشار قانوني لهيئة المحكمة الأمريكية - الإيرانية. وقد طلبت هيئة الدفاع من رئيس هيئة المحكمة عزله علناً بعد طلب تقدم به الرئيس صدام حسين، ولكن دون جدوى. وبقي مستشار المخابرات الأمريكية هذا مستشاراً لهيئة المحكمة المسماة بالعراقية، وكان يدفع بكل السبل باتجاه إعدام الرئيس الأسير، ويتدخل في شؤون الهيئة وسير عملها رغم تحذيراتنا واعتراضاتنا. وكان في غاية الفرح والنشوة والسعادة يوم النطق بالقرار الأمريكي - الإسرائيلي - الإيراني، قرار إعدام الرئيس صدام حسين يوم ٥/ ١١/ ٢٠٠٦.

لقد عملت الهيئة ورؤساؤها وأعضاؤها ومن عمل معها في فريق الدفاع من خارج الهيئة، في ظروف بالغة الصعوبة والتعقيد والخطورة، وواجهت معضلات ومشكلات لوجستية ومخاطر وتهديدات واعتداءات بلغت حد قتل عدد من أعضائها. وإذ تحملنا نحن أعضاء الهيئة كل هذه الصعوبات، وواجهنا كل هذه المخاطر والتهديدات، فإنما كنا وما نزال نثق أننا إنما نخدم شعبنا العراقي الجريح، ونخدم مستقبل عراقنا الذي نثق أنه مهما حاك الاحتلال الأمريكي وحلفاؤه وأعوانه وأذنابه من دسائس، ومهما ارتكب هو وأتباعه من جرائم إبادة وحشية ضد شعبنا الثائر، فإنه سيرحل قريباً إن شاء الله بل أقرب مما يتصور الكثيرون، وسيعود العراق بعون الله وهمة أبنائه في فصائل المقاومة العراقية الباسلة والهيئات والقوى العراقية الوطنية والقومية، مستقلاً عزيزاً قوياً موحداً وركناً أساسياً شامخاً من أركان أمته العربية والاسلامية، وعامل توازن واستقرار أساسي في هذا الجزء الحيوي من العالم.

وللتاريخ، ولإنصاف زملائي المحامين الأبطال، أقول: كان الرأي الذي اتفقنا عليه في الهيئة منذ عام ٢٠٠٥، هو أن يظهر الرئيس خلال المحاكمة ممارساً دور المحامي والقائد والرجل الأول فيها، وليس متهماً ضعيفاً كما أرادوه، لا قوة له إلا من خلال دفاع المحامين، وإسناد الهيئة له. وقد عرضت الفكرة على الرئيس في حينه، فرحب بها، لكنه ترك لنا المسائل الفنية البحتة لأنه لم يمارس مهنة المحاماة قط. وانطلقنا في ذلك من قناعتنا بأن رجلاً مثل صدام حسين بكل حنكته وشموخه وشجاعته لا يحتاج إلى من يدافع عنه، خصوصاً وأن الأمريكيين وأعوانهم كانوا يحاولون إظهاره بمظهر المتهم الضعيف. لقد قال الرئيس الشهيد ذات يوم للقاضي في إحدى جلسات التحقيق: « أيها القاضي، مع كل اعتزازي بالمحامين النشامى الأبطال، يبقى قراري هو النهائي وليس من حقكم أن تلغوا دوري، لأن المحامي وكيل وليس بديلاً»، وهو في الحقيقة كذلك. وهذا ما كنا مقتنعين به، ومتفقين عليه.

President Saddam Defense Lawyers

.P.S.D.L.

عمان في ٢٠٠٤/١٠/١٩

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى :-

(إن ينصركم الله فلا غالب لكم وإن يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده وعلى الله فليتوكل المؤمنون) .

سيادة رئيس جمهورية العراق الرئيس المناضل
صدام حسين حفظه الله ورعاه

تحية وإحتراماً وبعد ،

مع تأكيدنا بأن العدوان الأنجلو أمريكي على العراق لا يستند إلى أي أساس قانوني ومخالف للقانون الدولي وكافة الأعراف والمواثيق الدولية ، وحيث أن الجهاد أصبح فرض عين ، فقد تنادت نخبة من رجال القانون للعمل بما أنعم الله عليها من خبرة قانونية للدفاع عن الأمة العربية والإسلامية وسيادتكم رمزاً لها بتشكيل هيئة " الدفاع عن الرئيس العراقي صدام حسين " .

وإن هيئة الدفاع في الوطن العربي إلتقت مبدئياً مع هيئة الدفاع في الأنبار والتي أصبحت تمثل القطر العراقي بكامله .

Head Office

Jordan - Amman
Tel : +9626-4654326
+9626-4649326
Fax : +9626-4612654
E-mail : rashdan@accessme.com

Switzerland
Tel. : +4122 - 3198 - 700
Fax : +4122 - 3198 - 760

France
176 rue de 1 Univcrsitc 75007 PARIS
Tel : + 33 1 - 47 53 - 6812
Fax : + 331 - 4753 - 0412
E-mail : 1udot.3@wanadoo.fr.

United States
3003 Van Ness Street , NW,#W623
Washington , D.C. 20008 - 4834 USA
Tel : +202 - 248 - 1411

١٠٤

President Saddam Defense Lawyers

.P.S.D.L.

سيادة الرئيس صدام حسين حفظه الله ،

إن المـــادة (١٠٥) من إتفاقية جنيف تؤكد على إعطاء الحق بلقاء المحامين دون رقيـــب ، وإنـــه لشرف عظيم اللقاء بكم والإستماع لتوجيهاتكم من أجل تنفيذها وإتباع أفضل السبل لذلك .

إن ما هو موجود بهذه الرسالة لا ينقص أي حق من حقوق سيادتكم .

أدامكم الله ذخراً وسنداً لأمتنا العربية والإسلامية .

رئيس هيئة الدفاع العراقية
المحامي
خليل عبود الدليمي

المنسـق العـام
المحامي
محمد نجيب الرشدان

المرفقات : إتفاقية جنيف الثالثة .

Head Office
Jordan - Amman
Tel : +9626-4654326
+9626-4649326
Fax : +9626-4612654
E-mail : rashdan@accessme.com

Switzerland
Tel. : +4122 - 3198 - 700
Fax : +4122 - 3198 - 760

France
176 rue de 1 Univcrsitc 75007 PARIS
Tel : + 33 1 - 47 53 - 6812
Fax : + 331 - 4753 - 0412
E-mail : 1udot.3@wanadoo.fr.

United States
3003 Van Ness Street , NW,#W623
Washington , D.C. 20008 - 4834 USA
Tel : +202 - 248 - 1411

١٠٥

صورة عن الرسالة الأولى التي وصلت إلى الرئيس صدام حسين في معتقله من المحامي الأستاذ محمد الرشدان الرئيس الأول لهيئة الدفاع في الوطن العربي